مناقب الإمام أبي حنيفة



مناقب الإمام أبي حنيفة
وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن

للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
ولد سنة ٦٧٣ وتوفي سنة ٧٤٨ رحمه الله تعالى

عني بتحقيقه والتعليق عليه

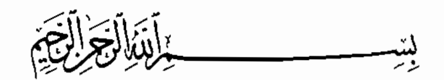
محمد زاهد الكوثري
وكيل
مشيخة الإسلام باستانبول سابقاً

أبو الوفاء الأفغاني
رئيس الجمعية العلمية
من لجنة إحياء المعارف النعمانية

عنيت بنشره
لجنة إحياء المعارف النعمانية
بحيدر آباد الدكن بالهند

الطبعة الأولى في القاهرة من مصـــر سنة ١٣٦٦
الطبعة الثـانية في مُلْـتَـان من باكستان سنة ١٣٩٩
الطبعة الثـالثة في بيروت من لـبـنـــان سنة ١٤٠٨
الطبعة الرابعة في بيروت من لـبـنـــان سنة ١٤١٩

يطلب من لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن في الهند



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فهذه الطبعة الثالثة من كتاب: مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، للإمام الحافظ الذهبي رحمهم الله تعالى، نقدمها للقراء، وقد استحسنا أن تطبع في بيروت، لتخرج بحلة قشيبة، وعرض جميل، وحرف فصيح، وأثبتنا على حواشي هذه الطبعة أرقام صفحات الطبعة الأولى المطبوعة بالقاهرة منذ أكثر من أربعين سنة، نظراً للعزو إليها في النقل عنها، ونرجو من الله تعالى أن ينفع بها، وهو ولي التوفيق.

لجنة إحياء المعارف النعمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

/ الحمدُ لله الذي شرف العلماء من عباده بكريم خطابه: ﴿إنما يَخشَى اللَّـهَ من عبادِهِ العلماءُ﴾، و﴿هل يَستوى الذين يَعلمون والذين لا يعلمون﴾. وأكرَمَ أولياءه منهم بمزيد كرمه وألطافه حيث قال تعالى: ﴿ألا إنَّ أولياءَ الله لا خَوْفٌ عليهم ولا هم يَحزنون﴾. ٣

والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد الذي ميَّز علماء أمته بقوله: «من يُرِد اللَّـهُ به خيراً يُفقِّهْهُ في الدين»، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأكرمين، وصَحْبِهِ القادةِ السادة البررة المتقين.

أما بعدُ، فقد كنتُ منذ رأيتُ كلمةَ الذهبي في «تذكرة الحفاظ»، عند ترجمتِهِ لأبي حنيفة في عِداد الحفاظ ١ :١٦٨: «مناقبُ هذا الإمام قد أفردتُها في جزء»، وكلِمَتَهُ فيها عند ترجمتِهِ لصاحبه أبي يوسف في عِدادهم أيضاً ١ :٢٩٢: «قد أفردتُه وأفردتُ صاحبَهُ محمدَ بنَ الحسن رحمهما الله في جزء».

لم أزل مشمِّراً عن ساق الجِدّ في البحث عن تلك الأجزاء المفردة للذهبي في تراجم أئمتنا فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني، رضي الله عنهم وأرضاهم.

إلى أن أظفرني الله سبحانه بالجزء الخاص بمناقب أبـي حنيفة، من بين تلك الأعلاق النفيسة، في مكتبة العلامة الكبير الشيخ محمد سعيد الشافعي المَدْرَاسي ــ مفتي العدالة العالية بحيدر آباد الدَّكَّن سابقاً تغمده الله برضوانه ــ، وهي من أغنى مكتبات حيدر آباد، فيها نوادرُ كثيرة من كتب الحديث والفقه، فاغتنمنا ذلك، ونسخناه لنشرِهِ بمعرفة لجنتنا «لجنة إحياء المعارف النعمانية».

كما أظفرني بالجزء الخاص بالصاحبين أبـي يوسف ومحمد رحمهما الله عند صديقِنا / الأستاذ محمد زاهد الكوثري من مشايخ العلم في دار الخلافة العثمانية سابقاً، كان نسخه من نسخة مكتوبة في القرن الثامن، ضمن مجموعة اشتراها صديقُهُ المغفورُ له السيد محمد أمين الخانجي الكتبـي المشهور، من بيت السَّقَطِي بصالحية دمشق الشام، حيث كان أعاره تلك المجموعة سنة ١٣٤٧هـ قبل أن يبعث بها إلى الغرب.

وكان هذا توفيقاً من الله جل شأنه، وكان الجزء الخاص بأبـي حنيفة مملوءاً بالأغلاط، فبعثنا به إلى الأستاذ الكوثري بمصر ليصححه ويعلق عليه بالتماس اللجنة، مع طلب الجزء الخاص بالصاحبين منه حفظه الله بالتعليق عليه أيضاً، فقام بإسعاف المرجو، كما يراه القارىء، وأهدى الجزء إلى اللجنة، جعل الله سعيه مشكوراً، ومتع المسلمين بطول حياته.

فما كان ساقطاً من الأصل زدتُ فيه بين مربَّعين من كتاب فضائل أبـي حنيفة وأصحابه للحافظ ابن أبـي العوَّام، لأن أكثر ما في الأصل مأخوذ منه بلفظه، ولم أنبه عليه، وما زِيدَ فيه من غيره نبَّهتُ عليه

بـالهامش، وتعليقـاتُ الأستاذ محمـد الزاهـد الكوثـري مرمـوز إليها بحرف (ز) في آخرها.

أما ترجمةُ مصنف المناقب فهو ــ كما ذكرها الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحُسَيني الدمشقي في «ذيل تذكرة الحفـاظ»: «الشيـخُ الإمامُ العلامة، شيخُ المحدثين، قُدوةُ الحفاظ والقـراء، محدِّثُ الشـام ومؤرخُه ومفيـدُه، شمسُ الـدين أبـو عبـدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله التُّرْكْماني الفارِقيُّ الأصل، الدمشقيُّ الشافعي المعروف بالذهبـي، مصنِّفُ الأصل ــ يعني «تذكرة الحفاظ» ــ.

ولد سنة ثلاث وسبعين وست مئة بدمشق، وسَمِعَ الحديثَ في سنة اثنتين وتسعين وهلم جـراً، وسَمِعَ بـدمشق من أبـي حفص عُمَر بن القواس، وأبـي الفضل بن عساكر، وخلقٍ، وبمصر الأَبَرْقُوْهِي، وبالقاهرة الدِّمْيَاطي، وبالثَّغْر الغَرَّافِي، وببَعْلَبَك التاج عبدالخالق، وبحلب سَنْقَر الزيني، وبنابُلُس العِمَاد بن بَدْرَان، وبمكة التَّوْزَرِي.

وأجـاز لـه خلقٌ من أصحـاب ابن طَبَـرْزَد والكِنْـدِي وحَنْبَـل وابن الحَرَسْتاني وغيرِهم من شيوخه في «معجمه الكبير»، وهم / أزيد من ألف ومئتي نفس بالسماع والإجازة. ٥

وخرَّج لجماعة من شيوخه وجرَّح وعدَّل، وفرَّع وصحَّح، وعلَّل واستـدرك، وأفـاد وانتَقَـى، واختصـر كثيـراً من تـآليف المتقـدمين والمتأخرين، وكتَبَ عِلماً كثيراً.

وصنَّف الكتبَ المفيدة، فمن أطولِها «تاريخُ الإسلام»[1]، ومن

---

(١) في مكتبة أحمد الثالث في طوبقبو في إصطنبول نسخة في ٢٣ مجلداً (ز).

أحسنها «ميزانُ الاعتدال في نقد الرجال»، وفي كثير من تراجمه اختصار يَحتاج إلى تحرير. ومصنفاتُهُ ومختصراتُه وتخريجاتُه تقارب المئة، وقد سار بجملةٍ منها الرُّكبانُ، في أقطار البلدان.

كان أحدَ الأذكياءِ المعدودين، والحفاظِ المُبرِّزين، وَلِيَ مَشْيَخَةَ الظاهرية قديماً، ومَشْيَخَةَ النفيسية والفاضلية والتِّنْكِزِيَّة، وأمِّ الملِك الصالح.

ولم يزل يكتُب وينتقي ويُصنف حتى أُضِرَّ في سنة إحدى وأربعين[١]، ومات ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بدمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

وكان قد جَمَع القراءات السبع على الشيخ أبي عبدالله بن جِبريل المصري نزيل دمشق، فقرأ عليه خَتْمةً جامعةً لمذاهب القُرَّاءِ السبعةِ بما اشتَمَل عليه كتابُ «التيسير» لأبي عَمْرو الدَّاني، وكتاب «حِرْز الأماني» لأبي القاسم الشاطبي، وحَمَل عنه الكتابَ والسنةَ خلائقُ، والله تعالى يغفر له». انتهى ما قاله الحسيني بلفظه.

قلتُ: ومن تصانيفه التاريخُ الأوسط، والصغيرُ، وقد طُبع بدائرة المعارف بحيدر آباد الدَّكَّن، وسِيَرُ النُّبَلاء[٢]، وطبقاتُ الحفاظ، وطُبع بدائرة المعارف مرتين، ومختصَرُ تهذيب الكمال المعروف بالتَّذْهِيب، والكاشفُ، مختصَرُ ذلك، والمجرَّدُ في أسماء رجال الكتب الستة، والتجريدُ في أسماء الصحابة، وطُبع بدائرة المعارف، والميزانُ وطُبع

---

(١) أي صار ضريراً فاقداً لبصره.

(٢) في مكتبة أحمد الثالث في ١٩ مجلداً (ز).

بالهند وبمصر، والمغني في الضعفاء، ومشتبهُ النِّسْبَة، وطُبع بأوروبا، ومختصَرُ الأطراف لشيخِهِ المِزِّي، وتلخيصُ المستدرك مع تعقُّبِه عليه، وطُبع بدائرة المعارف في ذيل مستدرك الحاكم، / ومختصَرُ المُحلَّى، ٦ ومهذَّبُ سُنَن البيهقي، وغيرُ ذلك. وله معجَمٌ كبير، وصغير، وكتابُ العلو، وطُبع بالهند وبمصر وفيه مآخذ، وزَغَلُ العلم، وطُبع بمصر مع تعليق عليه للأستاذ الكوثري حفظه الله.

وقال السيوطي: في «ذيل طبقات الحفاظ»: «إنَّ المحدِّثين عِيالٌ الآن في الرجال وغيرِها من فنون الحديث على أربعة: المِزّي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر»، ثم قال: ورثاه التاج السبكي بقصيدةٍ أولُها:

«مَنْ للحديثِ وللسارين في الطَّلَبِ ... مِن بعدِ موتِ الإمام الحافظ الذهبي

من للروايةِ والأخبارِ يَنشُرُها ... بين البرية من عُجم ومن عَرَبِ

من للدراية والآثار يَحفظُها ... بالنقدِ من وضع أهل الغيِّ والكذِبِ

من للصناعة يَدري حَلَّ مُعْضِلِها ... حتى يُرِيْك جِلاءَ الشَّكِ والرِّيَبِ

ومنها:

هو الإمامُ الذي رَوَّتْ رِوايتُهُ ... وطَبَّق الأرضَ من طُلَّابه النُّجُبِ

ثَبْتٌ صدوقٌ خبيرٌ حافظٌ يقِظٌ ... في النقل أصدَقُ أنباءً من الكتب

الله أكبَرُ ما أقرَا وأحفَظَه ... من زاهدٍ ورِعٍ في اللّـهِ مرتقِب»[1]

---

(١) هذا ما قاله ابن السبكي في الذهبي بعد موته تحت تأثير هذا الموقف الرهيب، ولم يمنع ذلك أن يبدي رأيه في الذهبي نفسه منتقداً إياه في مواضع من طبقات الشافعية، كما فعل مثل ذلك الذهبيُّ عند موت ابن تيمية، مع كونه ينتقده من نواح، سامحهم الله وإيانا بمنه وكرمه. وفي تكملة الرد على نونية ابن القيم ص ١٧٧ و ١٨١ نماذجُ من هذا وذاك (ز).

هذا وقد تم نشر هذا المجموع النفيس، تحت ظلال مولانا الملك الجليل المُعان، الذائعُ صِيتِ فضلِه في كل مكان، صاحبِ الجلالة، السلطانِ ابن السلطان، سلطان العلوم، مظفر الممالك، شمس الملة والدين، آصَف جاه السابع، مِير عثمان علي خان بَهَادَر، لا زالت مملكته رافلة في حُلَل العِزّ والارتقاء، ما توالَى المَلَوان، وكان ذلك بإذن لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدَّكَّن، حرسها الله عن الشرور والفِتَن، في شهر ذي القَعْدة المحرم من سنة ١٣٦٦هـ، ولله الحمد والمِنَّة ؟

أبو الوفاء الأفغاني

بسم الله الرحمن الرحيم

/ الحمد لله على كل حـال. وصلى الله على محمد أفضـلِ ٧ الرجال.

أما بعدُ فهـذا كتابٌ في أخبـار فقيه العصـر، وعالم الـوقت، أبـي حنيفة، ذي الرتبة الشريفة، والنفس العفيفة، والدرجة المُنِيفـة: النعمانِ بن ثابت بن زُوْطَى[١]، مفتي أهل الكوفة. وُلِدَ رَضِيَ الله عنه وأرضـاه، وأنفذ مـا أوضَحَهُ من الـدين الحنيفيّ وأمضَـاه، في سنـة ثمانين[٢]، في خلافة عبدالملك بن مروان بالكوفة.

---

(١) زُوطَى ليس بوالد ثابت مباشرة بل بينهما النعمان بن المرزبان، وأبو زوطى ماه، كما نص على ذلك الإمام مسعود بن شيبة في «التعليم» ص ٣، وهو الموافق لما صح عن إسماعيل بن حماد (ز).

(٢) هذا اختيارٌ منه لأحدثِ الروايات المختلفة أخذاً بالأحوط، كما جَرَى عليه الأكثرون، لكن هذا إذا لم يترجح سواه بدليل، ففي رواية ابن ذَوَّاد: كان ميلاده سنة ٦١هـ. وفي «أنساب» السمعاني في (الخزَّاز) سَنَةَ سبعين، ومثلُهُ في كتاب «الجرح والتعديل» لابن حِبَّان وفي «روضة القضاة» لأبـي القاسم السِّمْنَاني المعاصر للخطيب البغدادي، ويؤيدُ الأخيرَ عَدُّ الحافظ محمد بن مَخْلَدِ العطار روايةَ حماد بن أبـي حنيفة عن مالك من رواية الأكابر عن الأصاغر، واهتمامُ أبـي حنيفة بمن يَخلُفُ النخعيَّ بعد أن بَرَع في علم الكلام. =

وذلك في حياة جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وكان من التابعين لهم إن شاء الله بإحسان، فإنه صحَّ أنه رأى[١] أنسَ بن مالك إذ قَدِمَها أنس / رضي الله عنه. قال محمد بن سعد: حدثنا سيفُ بن جابر أنه سَمِعَ أبا حنيفة يقول: رأيتُ أنساً رضي الله عنه. ٨

وقال: يعقوب بن شيبة السَّدُوسي: أبو حنيفة مولىً لبني تَيْم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل. وقال أبو خَازِم عبدالحميد القاضي: سألتُ

= قال العُقَيلي في «الضعفاء»: حدثنا أحمد بن محمد الهروي، قال: حدثنا محمد بن المغيرة البلخي، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال حدثنا محمد بن سليمان الأصفهاني، قال: لما مات إبراهيمُ اجتَمَعَ خمسةٌ من أهل الكوفة فيهم عُمَر بن قيس الماصِر وأبو حنيفة، فجمعوا أربعين ألفَ درهم، وجاءوا إلى الحَكَم بن عُتَيْبَة، فقالوا: إنا قد جمعنا أربعين ألف درهم، نأتيك بها وتكون رئيسنا في الإرجاء، فأبَى عليهما الحَكَمُ، فأتوا حمادَ بن أبي سليمان فقالوا له فأجابهم وأخذ الأربعين ألف درهم اهـ.

والإرجاءُ الذي يُنسَبُ إليه هو إرجاءُ السنة المشرُوحُ في «الرفع والتكميل» للكنوي.

وكذلك روايته عن عِدَّةٍ من الصحابة رضي الله عنهم، كما بيَّنتُ في «التأنيب» وفيما علَّقتُ على «الانتصار والترجيح» لسبط ابن الجوزي، وكلُّ ذلك ما كان يصح لولا تقدُّمُ ميلادِهِ على سنة ثمانين، والله أعلم (ز).

(١) بل في «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر ١ : ٤٥: روايتُهُ عن ابن جَزْء الصحابي، ولأهل العلم بالحديث عدة أجزاء في رواية أبي حنيفة عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم، فجزءُ أبي حامد محمد بن هارون الحضرمي، وجزءُ أبي الحسين علي بن أحمد بن عيسى، وجزءُ أبي معشر عبدالكريم الطبري في ذلك، من مرويات ابن حجر في «المعجم المفهرَس» والشمس بن طولون في «الفهرست الأوسط»، وجزءُ أبي بكر عبدالرحمن بن محمد بن أحمد السرخسي مما رواه سبط ابن الجوزي في «الانتصار والترجيح» (ز).

ابنَ إسماعيل بن حماد بن أبـي حنيفة: لمن ولأؤكم؟ فقال: سُبِـيَ ثابتُ أبـو أبـي حنيفة من كـابُلَ، فـاشْتَرَتْـهُ امـرأةٌ من بني تيم الله بن ثعلبـة فأعتقته[١].

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكَين: كان أبو حنيفة حسن الوجه واللحية حسن الثياب. وقال عبدالوهاب[٢] بن زياد: رأيت أبا حنيفة بالكوفة وعليه

---

(١) ابن إسماعيل في سنده مجهولٌ متأخرُ الطبقة، فلا يناهض قولُه قولَ إسماعيل نفسه وقولَ الإمام نفسه (أبو الوفاء). ابنُ إسماعيل مجهولُ العين والصفة، فلا تثبت روايتُهُ، على أنها تخالف رواية إسماعيل بن حماد نفسه المدونة في كتاب الصَّيْمَري وتاريخ الخطيب، حيث قال إسماعيل فيهما: «أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المَرْزُبان من أبناء فارسَ الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط...».
بل كان ولاء أبـي حنيفة لتيم الله بن ثعلبة ولاءَ الموالاة. قال الطحاوي في «مشكل الآثار» ٤: ٥٤: سمعتُ بكار بن قتيبة يقول: «قال أبو عبدالرحمن المُقري: أتيتُ أبا حنيفة فقال لي من الرجل؟ فقلت: رجل منَّ الله عليه بالإسلام. فقال لي: «لا تقل هكذا، ولكن والِ بعضَ هذه الأحياء ثم انتَمِ إليهم، فإني كنتُ أنا كذلك».
ومثلُهُ في رواية ابن أعين عن أحمد بن منصور الرمادي عن المقري، وزاد في رواية يعقوب بن شيبة عند ابن أبـي العوام «فوجدتهم حيَّ صدق».
فعُلِمَ من ذلك أن ولاء أبـي حنيفة لتيم الله بن ثعلبة، لم يكن بإسلام أحَدِ أجـداده على يد أحـدٍ من بني تيم الله، ولا بإعتـاقِ أحدهم لأحـد أجداد أبـي حنيفة، فيكون ولاؤه ولاءَ مُوالاة، لا ولاءَ إسلام، ولا ولاءَ إعتاق، فتذهب الرواياتُ المختلِفةُ في انتقاصِهِ بنسبه أدراج الرياح هكذا، على أن العبرة بالتقى والعلم (ز).

(٢) وفي كتاب ابن أبـي العوام (عبدالواحد) وهو الصواب (ز).

طويلة[1] سوداء. وقال علي بن عبدالرحمن بن محمد بن المغيرة الكوفي بمصر: سمعت أبـي يقول: رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يفتي الناس [وعليه قَلَنْسُوَةٌ طويلة] فقلت من هذا؟ قالوا: أبو حنيفة.

قال قاضي مصر أبو القاسم عبدالله بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الحارث بن أبـي العَوَّام السعديُّ في كتاب «فضائل أبـي حنيفة»، وهو مجلَّدٌ واحد: حدثني إبراهيم بن أحمد / بن سهل الترمذي، ثنا القاسم بن غسان القاضي، ثنا أبـي، أنا جدي أبو غسان أيوب بن يونس، سَمِعَ النضرَ بن محمد يقول: كان أبو حنيفة جميلَ الوجه، سَرِيَّ الثوب، عَطِراً.

ولقد أتيتُه في حاجة فصليتُ معه الصبح، وعليّ كساءٌ قُوْمَسِيٌّ فأمَر بإسراج بغلِهِ وقال: أعطِني كساءك [لأركب في حاجتِك، وهذا] كسائي [إلى أن أرجع]، ففعلتُ، فلما رجع قال: يا نَضْرُ، أخجلتني بكسائك، قلتُ: وما أنكرتَ منه؟ قال: هو غليظ. قال النضرُ: وكنتُ اشتريتُه بخمسة دنانير، وأنا به مُعجَب، ثم رأيتُهُ بعدَ هذا وعليه كساء قُوْمَسِي قوَّمتُهُ بثلاثين ديناراً.

من أخلاقه وورعه

روى الحسن بن إسماعيل بن مجالد، عن أبيه، قال: كنتُ عند

---

(١) وهي قَلَنْسُوَة كانت تُلبَس في المواقف الرسمية، وفيها يقول أبو عَمْرو يوسف بن هارون الكِنْدي:

ونـادَى بـالطويلةِ وهْيَ مما ... يكونُ برأسِهِ لجليلِ أَمْرِ

كما في كشف الطرة للآلوسي ص ٢٨٤، وكان شيخه حماد بن أبـي سليمان يلبسها أيضاً (ز).

الرشيد [إذ دخل عليه أبو يوسف، فقال له هارون]: صِفْ لي أخلاقَ أبـي حنيفة، قال: كان واللّـهِ شديدَ الذَّبِّ عن حَرَام الله [١]، مُجانباً لأهل الدنيا، طويلَ الصمت، دائمَ الفِكر، لم يكن مِهذاراً ولا ثرثاراً [٢]، إن سُئِل عن مسألة كان عنده منها علم أجاب فيها، وما علمتُه يـا أمير المؤمنين إلا صائناً لنفسِه ودِينه، [مشتغلاً بنفسه عن الناس] [٣]، لا يَذكُرُ أحداً إلا بخير. فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين.

وقال القاسم بن غسان: سمعتُ إسحاق بن أبـي إسرائيل يقول: ذَكَر / قومٌ أبا حنيفة عند ابن عيينة فتنقَّصَه بعضُهم، فقال سفيان: مَهْ! كان أبو حنيفة أكثرَ الناس صلاة، وأعظمَهم أمانة، وأحسنَهم مُروءة. ١٠

ورُوي عن شَرِيك قال: كان أبو حنيفة طـويلَ الصمت، دائمَ الفِكر، كبيرَ العقل، قليلَ المحادثة للناس.

وقال الحسن بن إسماعيل بن مُجالد: سمعتُ وكيعاً يقول: قال

---

(١) وفي كتاب الحافظ ابن أبـي العوَّام: فقال يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿ما يَلْفِظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد﴾، وهو عند لسان كلِّ قائل، كان واللّـهِ أبو حنيفة عِلمي به شديدَ الذب عن حَرَام الله إلى آخره، ونحوُه عند الإمام الموفق في مناقب أبـي حنيفة ١: ٢٠٦، إلا أنه رواه من طريق أبـي عبدالله الصَّيْمَـري، عن أحمد بن محمـد بن المُغَلِّس، عن إبـراهيم بن سعيـد الجوهري، قال: كنت عند أمير المؤمنين الرشيد إذ دخل أبو يوسف. الحديث بطوله، وفيه «عن مَحارِم الله» (أبو الوفاء).

(٢) يقال: رجلٌ ثرثارٌ مِهذار بمعنى كثيرِ الكلام كما في «الأساس».

(٣) وما بين المربعات في هذه الصفحة وغيرها مَزِيدة من ابن أبـي العوام، حيث كان أصلُ الرواية من عنده (ز).

الحسن بن صالح بن حُيَـيّ: كان أبو حنيفة شديدَ الخوف لله، هائباً للحرامِ أن يُستَحَلَّ.

وعن بِشْر بن يحيـى: سمعتُ ابن المبارك يقول: ما رأيتُ رجلًا أوقَرَ في مجلسه، ولا أحسَنَ سمتاً وحِلماً من أبـي حنيفة، ولقد كنا عنده [في المسجد الجامع]، فوقعَتْ حَيَّةٌ من السقف في حِجره، فما زاد على أن نَفَض حِجرَه فألقاها، وما منا أحَدٌ إلا هَرَب.

وعن إسماعيل بن حماد بن أبـي حنيفة، قال: لما حَذَق أبـي حمادٌ قراءةَ الفاتحة، أعطَى أبو حنيفة المعلِّمَ خمسَ مئة درهم.

وقد ورَدَ في كرم أبـي حنيفة وأفضاله أخبارٌ عديدة.

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: ثنا المثنى بن رجاء، قال: جَعَل أبو حنيفة على نفسه إن حَلَف بالله صادقاً في عَرْضِ حديثِهِ أن يَتصدَّق بدينار[١]، فكان إذا حَلَف تصدَّق بدينار، وكان إذا أَنفَقَ على عياله نفقةً تصدق بمثلها.

وقال أبو بكر بن عياش: لقِيَ أبو حنيفة من الناس عَتْباً لقلةِ مخالطتِهِ الناس،فكانوا يَرَوْنه من زَهْوٍ فيه، وإنما كان ذلك منه غريزةً فيه.

وقال جُبَارة بن المُغَلِّس: سمعتُ قيس بن الـربيع يقـول: كان أبو حنيفة ورعاً تقياً، مُفْضِلاً على إخوانه.

وقال لُوَيْنٌ: سمعتُ محمد بن جابر يقول: كان أبو حنيفة قليلَ

---

(١) وفي كتاب ابن أبـي العوام: «بدرهم ثم بربع دينار ثم بدينار» متدرجاً. وفي لفظ روايته طول، وقد اختصره الذهبـي كما ترى، وعادته في غالب الروايات الاختصار في هذا الكتاب (ز).

الكلام إلا بما يُسأل عنه، قليلَ الضحك، كثيرَ الفِكر، دائمَ القطوب، كأنه حديثُ عهدٍ بمصيبة.

وقال زيد بن أخزَم: سمعتُ الخُرَيْبِـيَّ يقول: كنا عند أبـي حنيفة فقال له رجل: إني وضعتُ كتاباً على خطك إلى فلان، فوَهَب لي أربعةَ آلاف درهم، فقال أبو حنيفة: إن كنتم تنتفعون بهذا فافعلوا. ورواها الطحاوي عن أبـي خَازِم القاضي عنه.

١١

/ شيوخ أبـي حنيفة وأصحابه

تفقَّه بحمادِ بن أبـي سليمان صاحبِ إبـراهيم النخعي وبغيرِه، وقال: اختَلفتُ إلى حماد خَمْسَ عشرة سنة[١]. وفي رِواية أخرى عنه قال: صحِبتُه عَشْرَةَ أعوام[١]، أحفَظُ قولَه، وأسمَعُ مسائلَه.

وسَمِعَ الحديثَ من عطاء بن أبـي رباح بمكة، وقال: ما رأيتُ أفضلَ من عطاء. وسَمِعَ من عطية العَوْفي، وعبـدِالرحمن بن هُـرْمُز الأعرج، وعكرمة، ونافع، وعَدِيّ بن ثابت، وعَمْرِو بن دينار، وسلمة بن كُهَيل، وقَتَادة بن دِعامة، وأبـي الزبير، ومنصور، وأبـي جعفر محمد بن علي بن الحسين، وعَدَدٍ كثيرٍ من التابعين.

تفقَّه به جماعةٌ من الكبار، منهم زُفَر بن الهُذَيل، وأبـو يوسف

---

(١) كلاهما وهَمٌ ظاهر، ففي تاريخ الخطيب بسنده ١٣: ٣٣٣: ما معناه أنه صَحِبَه عَشْرَ سنين، ثم ظَنَّ استغناءَه عنه أياماً، لكنه عاد إليه عما قليل، فلازمه إلى أن مات، ثم صرَّح أنه لازمه إلى موته ثماني عشرة سنة، بل الصوابُ أنه اتصل به في عهد النخعي فلازمه إلى وفاته سنة عشرين ومئة اهـ. كما يظهر من اعتنائِهِ عند وفاةِ النخعي بمن يَخلُفُه على ما ذكره العُقَيلي (ز).

القاضي، وابنُهُ حمادُ بن أبـي حنيفة، ونُوحُ بن أبـي مَرْيَم المعروفُ بنُوحٍ الجـامع، وأبـو مُطيـع الحَكَمُ بنُ عبـدالله البَلْخِي، والحسَنُ بن زيـاد اللُّـؤْلؤي، ومحمدُ بن الحسن، وأسَدُ بن عَمْرو القاضِي.

ورَوَى عنه من المحدثين والفقهاء عِدَّةٌ لا يحصون، فمن أقرانِهِ: مُغيرةُ بن مِقْسَم، وزكريـا بنُ أبـي زائدة، ومِسْعَـرُ بن كِدَام، وسفيـانُ الثوري، ومالكُ بن مِغْوَل، ويونسُ بن أبـي إسحاق.

وممن بعدَهم زائدةُ، وشَرِيك، والحَسنُ بن صالح، وأبو بكر بنُ عيـاش، وعيسى بنُ يـونس، وعلي بن مُسْهِـر، وحفصُ بن غِيَـاث، وجريرُ بن عبـدالحميد، وعبـدُالله بن المبارك، وأبـو معاويـة، ووكيعٌ، والمُحـارِبـي، وأبو إسحـاق الفَزَاري، ويـزيـدُ بن هـارون، وإسحـاق [بن يوسف] الأزرق، والمُعافَى بن عِمران، وزيدُ بن الحُبَاب، وسعدُ بن الصَّلْت، ومكيُّ بن إبراهيم، وأبو عاصم النبيل، وعبدُالرزاق بن هَمَّام، وحَفْصُ بن عبدالرحمن البَلْخِي، وعُبَيدُالله بن موسى، وأبو عبدالرحمن ١٢ / المقرىء، ومحمدُ بن عبدالله الأنصاري، وأبو نُعَيم، وهَوْذَة بن خليفة، وأبـو أُسامـة، وأبـو يحيـى الحِمَّـاني، وابن نُمَيـر، وجعفـر بن عَـوْن، وإسحاق بن سليمان الرازي، وخلائقُ[1].

عِبادة أبـي حنيفة

قد تواتر قيامُه الليل وتهجُّـدُه وتعبُّدُه رحمـه الله تعالى. قـال

(١) والذين ذكرهم الحافظ أبو الحَجَّاج المِزِّي وحده في «تهذيب الكمال» من الرواة عن أبـي حنيفة يقاربون مئة شخص، مع أنه لم يَستقص ولا قارب، بل تبلغُ أصحابُه ألوفاً (ز).

يعقوب بن شيبة: حدثني بكر، سمعت أبا عاصم النبيل يقول: كان أبو حنيفة يُسمَّى الوَتَدَ، لكثرة صلاته.

وقال حُرَيث بن أبي الورقاء: سمعتُ علي بن إسحاق السمرقندي، سمعتُ أبا يوسف يقول: كان أبو حنيفة يَختِمُ القرآنَ في كل ليلة في ركعة.

هذه حكاية غريبة. والمحفوظُ ما رواه بِشْرُ بن الوليد الكِنْدي، عن أبي يوسف قال: كنتُ أمشِي مع أبي حنيفة إذ سمعتُ رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينامُ الليل، فقال أبو حنيفة: واللَّهِ لا يُتَحدَّثُ عني بما لا أفعل! فكان يحيي الليلَ صلاةً ودُعاءً وتضرعاً.

وروى حِبَّان بن بِشْر، عن حَكَّام بن سَلْم، عن أبي سفيان قال: كنا نختلف إلى عَمْرو بنِ مُرَّة، فكان أبو حنيفة يصلي العشاء والفجر بطُهرٍ واحد.

وروى يحيى الحِمَّاني، عن أبيه، أنه قال: صحبتُ أبا حنيفة ستةَ أشهر، فما رأيتُهُ صلَّى الغداةَ إلا بوضوء العِشاء الآخرة، وكان يختم القرآن كل ليلة عند السحر.

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: ثنا المثنى بن رجاء، عن أمِّ حميد حاضنةِ وَلَدِ أبي حنيفة، قالت: قالت أمُّ ولد أبي حنيفة: ما توسَّدَ أبو حنيفة فِراشاً بليل مذ عرفتُه، وإنما كان نومُهُ بين الظهر والعصر في الصيف، وبالليل في مسجدِهِ أول الليل في الشتاء.

وعن أبي عبدالرحمن المقرىء، قال: لو رأيتَ أبا حنيفة يصلي علمتَ أنَّ الصلاة من هَمِّهِ.

١٣ وقاله جُبَارةُ / بن المُغَلِّس: سمعتُ الحسينَ الجُعْفِيَّ[1]، وسأله رجل: أكان أبو حنيفة يؤمن بالبعث؟ فقال: أخبَرَني من شَهِدَه وهو يُردِّدُ هذه الآية: ﴿فَمَنَّ الله علينا ووَقَانا عَذابَ السَّمُومِ﴾ وهو يبكي، ويقول: اللهمَّ مُنَّ علينا وقِنا عذابَ السَّمُوم يا رحيم.

وعن سَلْم بن سالم البلخي، عن أبي الجُوَيْرِية، قال: صَحِبتُ أبا حنيفة ستة أشهر، فما رأيتُه ليلةً واحدةً وَضَع جنبَه.

وقال ابنُ أبي العوام القاضي في «فضائل أبي حنيفة»: ثنا الطحاوي، ثنا أحمد بن أبي عِمران، ثنا محمد بن شجاع، عن الحسن بن زياد، عن أبي حنيفة، قال: ربما قرأتُ في ركعتَيْ الفجر حِزبينِ من القرآن.

قال علي بن حفص البزَّاز: سمعتُ حفصَ بن عبدالرحمن، سمعتُ مِسْعَراً يقول: دخلتُ المسجدَ فرأيتُ رجلاً يصلي، فاستَحلَيْتُ قراءته، فوقفتُ حتى قرأ سُبْعاً، فقلتُ يركع، ثم بَلَغ الثُلث، فقلت يركع، ثم بَلَغ النصف، فلم يزل على حاله حتى خَتَم القرآن في ركعة، فنظرتُ فإذا هو أبو حنيفة.

(قال) إبراهيم بن رُسْتُم المَرْوَزِي: سمعتُ خارجةَ بنَ مصعب يقول: خَتَم القرآنَ في ركعة [أربعةٌ من الأئمة]: عثمانُ بن عفان، وتميمٌ الدارِي، وسعيدُ بن جُبَير، وأبو حنيفة،رضي الله عنهم.

---

(١) حسين بن علي بن الوليد الجعفي مولاهم أبو محمد المقرىء الكوفي، أحد الأعلام والزهاد. مات سنة ثلاث ومئتين، من رواة الصحاح الستة. (أبو الوفاء).

وعن يحيى بن نصر قال: ربما ختم أبو حنيفة القرآن في رمضان سِتين مرة.

محمد بن سَمَاعة، عن محمد بن الحسن، عن القاسم بن معن، أنَّ أبا حنيفة قام ليلةً يُرَدِّدُ قولَه تعالى: ﴿بل الساعَةُ مَوْعِدُهم والسَّاعَةُ أدْهَى وأَمَرُّ﴾، ويبكي ويتضرَّعُ إلى الصباح.

وقال محمد بن حماد بن المبارك المِصِّيْصِي في «سيرة أبي حنيفة»: قال محمد بن مليح بن[1] وكيع بن الجراح: ثنا يزيدُ بن كُمَيْت، سمعتُ رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتَّقِ الله! فانتفَضَ واصفرَّ وأَطرَقَ وقال: جزاكَ الله خيراً، ما أحوجَ الناسَ كلَّ وقت إلى من يقول لهم مثلَ هذا!

[وقال يزيدُ بن كُمَيت] فَتَح غلامٌ لأبي حنيفة يوماً رِزْمةَ خَزّ، فإذا الأخضَرُ / والأحمر والأصفر، فقال الغلام: نسألُ الله الجنة. فبكى أبو حنيفة حتى اختلَجَ صُدْغاهُ ومَنكِباهُ، وأمَرَ بغَلْقِ الدكان، وقام مغطَّى الرأسِ مسرعاً، فلما كان من الغد جلستُ إليه فقال: يا أخي، ما أجرَأنا؟! يقول أحدُنا نسألُ الله الجنة! إنما يَسألُ الله الجنةَ من راضَ نفسه ـ يعني لها ـ إنما يُريد مثلُنا أن يَسأل الله العفو. ١٤

وروى الخطيب في «تاريخه» من جهة أَسَد بن عَمْرو، قال: صلَّى أبو حنيفة فيما حُفِظَ عليه صلاةَ الفجر بوضوءِ العِشاءِ أربعين سنة، فكان عامَّةَ الليل يقرأ جميعَ القرآن في ركعة[2]، وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب (عن)، حيث يَبعدُ سماعُ حفيد وكيع من يزيد بن كُمَيْت (ز).

(٢) في سند هذا الخبر أحمد بن الحسين البلخي وحماد بن قريش، وهما من المجاهيل، فلا يثبت خبرهما، بل في الخبر نفسه ما يكذبه (ز).

يرحمه جيرانه، وحُفِظَ عليه أنه خَتَم القرآن في الموضع الذي تُوفي فيه سبعةَ آلافِ مرة[١].

أخبرني بهذا المسلم بن علان إجازةً، أنا أبو اليُمْن الكِندي، أنا أبو منصور الشيباني، أنبأ أبو بكر الخطيب، أنا علي بن المُحَسِّن، أنا أحمد بن محمد بن يعقوب الكاغِذي، ثنا عبدالله بن محمد الحارثي بِبُخَارَى، أنبأ أحمد بن الحسين البَلْخِي، ثنا حماد بن قريش، سمعتُ أسدَ بنَ عَمْرو فذكره.

وقال مِسْعَرُ بن كِدَام: رأيتُ أبا حنيفة قرأ القرآنَ في ركعة.

وعن ابن المبارك قال: مكث أبو حنيفة مدةً يصلي الخمس بوضوء واحد.

وقال بعضهم: قال حماد بن أبـي حنيفة: لما غَسَّلَ الحسَنُ بن عُمَارة أبـي قال: غَفَر الله لك، لم تُفطِر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسَّد يمينَك بالليل منذ أربعين سنة، ولقد أَتعبتَ مَنْ بَعْدَك، وفَضَحتَ القراء.

وقال حامد بن آدم المروزي: سمعتُ ابن المبارك يقول: ما رأيتُ أورَعَ من أبـي حنيفة، وقد جُرِّب بالسياط والأموال.

[وقال محمد بن أحمد بن] يعقوب بن شيبة: ثنا [جدي، أخبرني] عبدُالله بن الحسن بن المبارك، عن إسماعيل بن حماد بن أبـي حنيفة، ١٥ قال: مررتُ مع أبـي بالكُنَاسة فبكى، فقلتُ له: يا أبتِ / ما يبكيك؟ قال: يا بُنَيَّ في هذا الموضع ضَرَبَ ابنُ هُبَيرة جَدَّك عشرةَ أيام، في كل يوم عشرةَ أسواطٍ على أن يَلِيَ القضاء فلم يفعل.

---

(١) لا يصح هذا، لأنه لم يسكن بغداد وإنما أُشخِصَ من الكوفة إلى بغداد، وكان بها في السجن مدة (أبو الوفاء).

[وقال أحمد بن منصور] الرَّمَادِي: ثنا عبدُالرزاق. قال: ما رأيتُ أحداً أحلَمَ من أبـي حنيفة، كنا جلوساً معه في مسجد الخيف، فسأله رجلٌ عن مسألة فأفتاه، فقال الرجل: قال الحسن البصري كذا وكذا، فقال [أبو حنيفة]: أخطأ الحسن، فجاء رجل مُغَطَّى الوجه، فقال: يا ابنَ الفاعلة! تقول أخطأ الحسَنُ! فهَمَّ الناسُ به، فقال [أبو حنيفة]: أقولُ: أخطأ الحسَنُ وأصاب ابنُ مسعود.

قال محمد بن مليح بن[1] وكيع: نـا يزيـد بن كُمَيت، سمعتُ أبا حنيفة وشتَمَه رجلٌ واستطال عليه وقال له: يا كافر يا زنديق. فقال أبو حنيفة: غَفَر الله لك، هو يَعلَمُ مني خلافَ ما تقول.

[قال] إبراهيم بن عبدالله الهروي: سمعتُ يزيد بن هارون يقول: ما رأيتُ أحداً أحلَمَ من أبـي حنيفة.

الواقدي: ثنا القاسم بن معن، قال أخَذَ ابنُ هُبَيْرَة أبا حنيفة، فأراده على وِلاية القضاء، فأبَـى فحبَسَه، فقيل لأبـي حنيفة: إنه حَلَفَ أنْ لا يُخرِجَك حتى تلِيَ له، وإنه يُريد بناءً، فتَوَلَّ له عَدَّ اللَّبِن، فقال: لو سألني أن أعُدَّ له أبوابَ المسجد لم أفعل.

وقال علي بن مَعْبَد بن شداد: ثنا عُبَيدالله بن عَمْرو الرَّقِّي، قال: ضَرَب ابنُ هبيرة أبا حنيفة على أن يلي القضاء فأبَـى، فقال الناس: استتابه.

وذُكِرَ أبو حنيفة [عندَ ابن المبارك]، فقال: ماذا يقالُ في رجلٍ عُرِضَتْ عليه الدنيا والأموالُ فنبذها، وضُرِبَ بالسياط فصَبَـر عليها، ولم يَدخل فيما كان غيرُه يستدعيه!

---

(١) ولعل الصواب (عن) كما سبق (ز).

محمد بن شُجَاع الثَّلْجِي: حدَّثني حِبَّان رجلٌ من أصحاب أبي حنيفة، قال: قال أبو حنيفة حين ضُرِبَ ليلي القضاء: ما أصابني في ضربي شيءٌ أشدُّ على من غَمِّ والدتي، وكان بها بَراًّ!

يعقوب بن شيبة: ثنا عبدالله بن الحسن بن المبارك، نا بِشْرُ بن الوليد، قال: أَشخَصَ المنصورُ أبا حنيفة، فأراده على أن يُولِّيَه، فأبَى، فحَلَفَ عليه لَيفعَلَنَّ، وحَلَف أبو حنيفة / أن لا يَفعل، فقال الربيعُ الحاجبُ: ألا تَرى أميرَ المؤمنين يَحلِف؟ قال: أميرُ المؤمنين على كفارة أَيمانِهِ أقدَرُ مني. فأبَى أن يلي، فأَمَر به إلى السجن فمات فيه، ودُفِنَ في مقابر الخَيْزُران.

رواها يعقوب بن شيبة، عن بِشْر، ورواها أيضاً إبراهيمُ بن أبي إسحاق الزهري الكوفي عن بِشر، فزاد فيها: فسُجِن، ثم دفعه إلى حُمَيد الطوسي شُرْطِيِّه، فأراد أن يؤذيه فقال: يا شيخُ، إنَّ أميرَ المؤمنين يَدفَعُ إليَّ الرجلَ، ويقولُ لي: اقتُلْه، أو اقطَعْه، أو اضْرِبْهُ، ولا عِلمَ لي بقِصَّته؟ فقال أبو حنيفة: هل يأمُرك أميرُ المؤمنين بأمرٍ قد وَجَبَ، أو بأمرٍ لم يجب؟ قال: بل بما قد وَجَب. قال: فإذا أمرَك بقتلٍ واجبٍ أو ضَرْب متعيِّنٍ، فبادر إليه فإنك مأجورٌ في ذلك.

يحيى الحِمَّاني، عن أبيه، قال: كان أبو حنيفة يُضرَبُ على أن يَلِيَ القضاءَ فيأبَى، ولقد سمعتُه يبكي، وقال: أبكي غَمّاً على والدتي!

وعن مُغِيث بن بَدِيل، قال: دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلُحُ للقضاء. قال له: كذبتَ. قال: قد حَكَمَ عليَّ أميرُ المؤمنين أني لا أَصلُحُ، لأنه نسبني إلى الكذب، فإن كنتُ كاذباً فلا أصلح، وإن كنتُ صادقاً فقد أخبرتُك أني لا أصلُح، فحبسه.

إسمعيل بن أبـي أُوَيْس: سمعتُ الربيع بن يونس يقول: رأيتُ المنصور يُنازِلُ أبا حنيفة في أمر القضاء. فقال: واللّـهِ ما أنا بمأمونِ الرضا، فكيف أكون بمأمونِ الغضب؟ فلا أصلُح لذلك، فقال: كذبتَ أنتَ تَصلُح. قال: وكيف يَحِلُّ لك أن تولي من يكذب.

قال أبو بكر الخطيب: وقيل: إنه وَلِيَ القضاءَ يومين، [ولم يأتِه فيهما أحد، وقَضَى في اليوم الثالث[1]] في قضية واحدة، ثم اشتكى ستةَ أيام [ثم مات].

وقال أبو عبدالله الصيمري الفقيهُ بسندٍ له: لم يَقبل أبو حنيفة العهدَ بالقضاء، فضُرِبَ مئةَ سوط، وحُبِسَ ومات في السجن، كذا قال. وقيل: حُمِلَتْ إليه عَشْرَةُ آلاف، فوُضِعَتْ له في الدار، فاغتمَّ ولم ينـطِق، ومكثَتْ تلك / البَدْرَةُ في مكانها، فلما مات أبو حنيفة حَمَلها ولدُه إلى الذي جاء بها وهو الحسن بن قَحْطَبة، فقال: هذه وديعتك. فنَظَر إليها الحسن وقال: رحم الله أباك! لقد شَحَّ على دينه، إذ سَخَتْ به أنفسُ أقوام. ١٧

ويُروَى أنَّ ابنَ هُبَيرة لمَّا بلغه أن أبا حنيفة حَلَف أنه لا يتولى القضاء، فقال: يُعارِضُ يميني بيمينه؟! فأمَرَ به فضُرِبَ عشرين سوطاً على رأسه، فقال: ٱذْكُرْ مَقامَك بين يدي الله، فإنه أَذَلُّ من مَقامي بين يديك، فلا تَهْدُرْ دمي، فإني أقول: لا إله إلا الله. فأومأ إلى الجلاد أمسِكْ، فأصبَحَ أبو حنيفة في السجن وقد انتفَـخَ رأسُه ووجهُـه من الضرب. وقيل غيرُ ذلك.

---

(١) زيادة من تاريخ الخطيب (أبو الوفاء).

محمد بن علي بن عفان العامري: ثنا الوليد بن حماد اللؤلؤي، ثنا الحسن بن زياد اللؤلؤي، سمعت أبا يوسف يقول: اجتمعنا عند أبي حنيفة في يومٍ مَطِير، في نفر [من أصحابه] منهم داودُ الطائي، والقاسمُ بن معن، وعافيَةُ بن يزيد، وحفصُ بن غِياث [ووكيعُ بن الجراح، ومالك بن مِغْوَل]، وزفر.

فأقبَلَ علينا بوجهه وقال: أنتم مَسَارُّ قلبي، وجِلاَءُ حُزْنِي، وأسْرَجْتُ لكم الفقهَ أَلجَمتُهُ، وقد تركتُ الناسَ يطؤون أعقابكم، ويلتمسون ألفاظكم، ما منكم واحد إلا وهو يصلح للقضاء.

فسألتكم بالله وبقَدْرِ ما وهب الله لكم من جلالة العلم لَمَا صُنتموه عن ذل الاستئجار، وإن بُلِيَ أحدٌ منكم بالقضاء، فعَلِمَ من نفسه خَرْبَةً سَتَرها الله عن العبادِ لم يَجُز قضاؤه، ولم يَطِب له رِزقُه، فإن دَفَعَتْهُ ضرورةٌ [إلى الدخول فيه] فلا يَحتجِبَنَّ عن الناس[1]، وليُصَلِّ الخمسَ في مسجده، ويُنادِي عند كل صلاة: من له حاجة؟ فإذا صلَّى العشاء نادَى ثلاثةَ أصوات: من له حاجة؟ ثم دخل إلى منزله.

فإن مَرِضَ مرضاً لا يستطيع الجلوسَ معه، أسقَطَ من رِزقِهِ بقدر مَرَضِه، وأيُّما إمامٍ غَلَّ فَيْئاً، أو جار في حكم، بطَلَتْ إمامتُه ولم يَجُز حكمه[2].

عن الحسن بن زياد قال أبو حنيفة: إذا ارتَشَى القاضي فهو معزول وإن لم يُعزَل.

---

(١) وعند ابن أبي العوام: فلا يجعلن بينه وبين الناس حجاباً (أبو الوفاء).

(٢) زاد ابن أبي العوام: وإن أذنَبَ ذنباً بينه وبين ربه عز وجل يَستوجب به الحد دُرِئ عنه الحد، لأنه وليُّ إقامته، وإن كان شيئاً بينه وبين الناس أقامه عليه أقرَبُ القضاة إليه (أبو الوفاء).

/ ذِكْرُ مَنْ وصَفَه بالفِقه

عن الأعمش أنه سئل عن مسألة فقال: إنما يُحسِنُ هذه النعمانُ بن ثابت الخزَّاز، وأظنه بُورك له في عِلمه.

يوسف بن موسى، سمعت جريراً يقول: كان الأعمش إذا سُئل عن الدقائق أرسلهم إلى أبـي حنيفة، وقد قال مغيرة له: ألا تأتي أبا حنيفة.

يحيى بن أكثم، عن جرير، قال: قال لي مغيرة: جالِسْ أبا حنيفة تَفْقَه، فإن إبراهيم لو كان حَيَّاً لجالسه.

شَبَابة بن سَوَّار قال: كان شُعبةُ حسَنَ الرأي في أبـي حنيفة، كثيرَ الترحم عليه.

عُبَيدُالله بن موسى، سَمِعتُ مِسْعَراً يقول: رَحِمَ الله أبا حنيفة إنْ كان لفقيهاً عالماً.

حُسَين الجُعْفِي، سمعتُ زائدة [بن قُدَامة] يقول: النعمانُ بن ثابت فقيهُ البَدَن، لم يَعْدُ ما أدرك عليه أهلَ الكوفة.

وعن أبـي بكر بن عَيَّاش قال: كان النعمانُ بن ثابت أفقَهَ أهل زمانه.

أبـو نعيم، سمعتُ علي بن صالـح بن حُيَـيّ يقول: لمـا مـات أبو حنيفة: ذَهَب مفتي العِراقِ وفقيهُها.

بِشْرُ الحافي، سمعتُ عبدالله بن داود الخُرَيبـي يقول: إذا أردتَ الآثار فسفيانُ الثوري، وإذا أردتَ تلك الدقائقَ فأبو حنيفة.

رَوْح بن عُبَادة قال: كنتُ عند ابن جريج فقيل له: مات أبو حنيفة، فقال: رحمه الله، لقد ذَهَب معه علم كثير.

المُثنّى بن رجاء سمعتُ سَعيدَ بن أبـي عَرُوبة يقول: كان أبو حنيفة عالمَ العراق.

قال يزيد بن هارون: أفقَهُ من رأيت أبو حنيفة.

وعن شدَّاد بن حكيم: ما رأيتُ أعلَمَ من أبـي حنيفة في زمانه.

الحلوانيُّ قلتُ لأبـي عاصم النبيل: أبـو حنيفة أفقَـهُ أو سفيان؟ فقال: أبو حنيفة.

عبدُالرزاق قال: قال ابنُ المبارك: إن كان (الاحتياج) إلى الرأي فهو أسدُّهم [رأياً].

وعن ابن المبارك قال: لولا أن الله قد أدركني بأبـي حنيفة وسفيانَ لكنتُ بِدْعِيّاً.

يحيـى بن آدم سمعتُ الحسَنَ بنَ صالح يقول: كان أبو حنيفة فَهِماً بعلمه، متثبِّتاً فيه، إذا صَحَّ عنده الخَبَرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَعْدُه إلى غيره.

١٩ المُـزَنيُّ وغيرُه، سمعتُ الشـافعيَّ يقول: / النـاسُ عِيالٌ على أبـي حنيفة في الفِقه.

إسحاق بن بُهْلُول، سمعتُ ابنَ عينية يقول: ما مَقَلَتْ عَيْنِيْ مثلَ أبـي حنيفة.

إبراهيمُ بن عبدالله المروزي الخَلَّال، سمعتُ ابنَ المبارك يقول: كان أبو حنيفة آية.

أحمدُ بن الصباح، سمعتُ الشافعيَّ يقول: قيل لمالك: هل رأيتَ

أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيتُ رجلاً لو كلَّمك في هذه السارية أن يَجعلها ذهباً لقام بحُجَّتِه.

أحمد بن محمد بن مُغَلِّس[1]: ثنا محمد بن مقاتل، سمعتُ ابن المبارك يقول: إن كان الأثَرُ قد عُرِفَ واحتيج إلى الرأي، فرأيُ مالكٍ وسفيان وأبـي حنيفة، وأبو حنيفة أحسَنُهم وأدقهم فطنة، وأغوَصُهم على الفقه، وهو أفقَهُ الثلاثة.

سلمة بن شبيب، سمعت عبدالرزاق، سمعتُ ابن المبارك يقول: إن كان أحدٌ ينبغي له أن يقول برأيه فأبو حنيفة.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن الصلت بن المُغَلِّس الحِمَّاني، حَدَّث عن ثابت بن محمد الزاهد، وأبـي نُعَيم الفضل بن دُكَيْن، وعفان بن مسلم. وعنه أبو عَمْرو بن السماك، وأبو علي بن الصواف، وأبو الفتح بن محمد، قال الخطيب: بعض الناس يقولون: أحمدُ بن الصلت يضعُ الأحاديث. قال: توفي سنة ثمان وثلاث مئة. (أبو الوفاء).
وفي تاريخ الخطيب ٤: ٢٠٩: أخبرنا علي بن المُحسِّن التنوخي، حدثني أبـي، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان بن الصباح النيسابوري بالبصرة، حدثنا أبو علي الحسن بن محمد الرازي، قال: قال لي عبدالله بن أبـي خيثمة، قال لي أبـي حمد بن أبـي خيثمة: اكتُبْ عن هذا الشيخ يا بني فإنه كان يكتب معنا في المجالس منذ سبعين سنة ــ يعني أحمد بن الصلت بن المغلس الحماني.
وقال الخطيب: في إسناد هذه الحكاية غيرُ واحد من المجهولين، فلا أُبعِدُ أن تكون موضوعة. ثم أطال النفسَ في توهين أحمد بن الصلت، لهوىً معروفٍ في الخطيب في أبـي حنيفة وأصحابه. وقد أشبعتُ الكلامَ في تمحيص هذا البحث في تأنيب الخطيب ص ١٦٥ ــ ١٦٦، بما لا يتسع المقامُ لنقل ذلك فليراجع (ز).

وقال حبان بن موسى: سئل ابن المبارك أمالكٌ أفقَهُ أم أبو حنيفة؟ فقال: أبو حنيفة.

بِشرُ الحافي قال: قال الخُرَيْبي: ما يقَعُ في أبـي حنيفة إلا جاهل أو حاسد.

أبو مسلم الكَجِّي، عن محمد بن سعد الكاتب، عن الخُرَيبي أنه قـال: يجبُ على أهل الإسـلام أن يـدعـوا اللَّـهَ لأبـي حنيفـة في صـلاتهم.

وعن مكي بن إبراهيم قال: كان أبو حنيفة أعلَمَ أهل زمانه.

يحيى بن معين، سمعتُ يحيى بن سعيد القطان يقول: لا نَكذِبُ اللَّه، ما سَمِعنا أحسَنَ من رأي أبـي حنيفة، وقد أخذنا بأكثرِ أقوالِه.

يحيى بن أبـي طالب، سمعتُ علي بن عاصم يقول: لو وُزِنَ عِلمُ / أبـي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح. ٢٠

طَلْق بن غَنَّام النَّخَعِي، سمعتُ حفص بن غِيَاث يقول: كلامُ أبـي حنيفة أدَقُّ من الشَّعْر، لا يَعيبه إلا جاهل.

الحُمَيدي، سمعتُ سفيان بن عيينة يقول: شيئانِ ما ظننتهما أن يتجاوزا قنطرة الكوفة: قـراءةُ حمزة، ورأيُ أبـي حنيفـة، وقد بَلَغـا الآفــاق.

ومن قوله في الرأي

نُعَيم بن حماد، سمعتُ أبا عِصمة وهو نُوحُ الجامع قال: سمعتُ أبا حنيفة يقول: ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس

والعين، وما جاء عن الصحابة اختَرْنا، وما كان من غيرِ ذلك فهم رجالٌ ونحن رجال[١].

جماعة قالوا: قال ابنُ معين: سمعتُ عُبَيدَ بنَ أبـي قُرَّة، سمعت

---

(١) قلت: هذا لفظ ابن أبـي العوام إلا أنه ذكر العينينِ مكان العين، وقال: فنحن رجال وهم رجال والباقي سواء.

وذكر ابن عبدالبر هذه الرواية في «الانتقاء» ص ١٤٤، عن إبراهيم بن هانىء النيسابوري قال: قيل لنعيم بن حماد: ما أشد إزراءهم على أبـي حنيفة! فقال: إن يُنقَمْ على أبـي حنيفة ما حدثنا عنه أبو عصمة قال: سمعت أبا حنيفة يقول: ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعينين، وما جاءنا عن أصحابه اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال، وأما غير ذلك فلا تَسمع التشنيعَ.

وفي «تبييض الصحيفة» للسيوطي ص ٢٩، عن نُعَيم بن حماد قال: سمعتُ عبدالله بن المبارك يقول: قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديثُ عن النبـي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا كان عن أصحاب النبـي صلى الله عليه وسلم اخترنا ولم نَخرج من قولهم، وإذا كان عن التابعين زاحمناهم.

وذكر الموفق بن أحمد نحوه في ١: ٧٧ عن أبـي حمزة السكري، عن الإمام، وقال سمعتُ هذا الحديث أيضاً في مسند أبـي حنيفة برواية عبدالله بن المبارك، عن أبـي حنيفة فقال: إذا جاء الحديثُ عن النبـي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين. والباقي سواء. وسمعتُه أيضاً في «مناقب الصيمري» بألفاظ مختلفة. ورَوَى أيضاً بسنده عن الحسن بن عبدالكريم بن هلال، عن أبيه، عن الإمام نحوه، ولفظُه في التابعين: وإذا جاء من بعدهم أخذت وتركت ١: ٨٠.

وأخرج ابنُ خُسْرُو في أول «مسنده» عن نُعَيم بن حماد، عن ابن المبارك عن الإمام: وإذا كان من التابعين زاحمناهم. (أبو الوفاء).

يحيى بن الضُّرَيْس يقول: شهدتُ الثوريَّ وأتاه رجل فقال: ما تَنقِمُ على أبي حنيفة؟ قال: وما له؟ قال: سمعتُه يقول: آخُذُ بكتاب الله، فما لم أجد فبسُنَّةِ رسول الله [والآثارِ الصحاح عنه التي فَشَتْ في أيدي الثقاتِ عن الثقات]، فإن لم أجد فبقولِ أصحابه آخُذُ بقولِ من شئتُ، ٢١ وأما إذا انتهى الأمرُ إلى إبراهيم والشعبي والحسن وعطاء / فأجتهدُ كما اجتهدوا.

فسكت سفيانُ طويلاً، ثم قال كلماتٍ ما بَقِيَ أحدٌ في المجلس إلا كتبها: نَسمعُ الشديدَ من الحديث فنخافُه، ونسمَعُ اللَّيِّنَ فنرجوه، ولا نحاسِبُ الأحياء، ولا نقضِي على الأموات، نُسلِّمُ ما سَمِعنا، ونكِلُ ما لم نعلمه إلى عالِمِهِ، ونَتَّهِمُ رأينا لرأيهم.

وكيع، سمعت أبا حنيفة يقول: البَوْلُ في المسجد أحسَنُ من بعض القياس.

محمد بن شجاع الثَّلْجي، سمعتُ إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة يقول: قال أبو حنيفة: هذا الذي نحن فيه رأي، لا نُجبِرُ عليه أحداً، ولا نقول: يجبُ على أحد قبولُه، فمن كان عنده أحسَنُ منه فليأتِ به.

الحسن بن زياد اللؤلؤي قال: قال أبو حنيفة: عِلْمُنا هذا رأي، وهو أحسَنُ ما قَدَرْنا عليه، ومن جاءنا بأحسَنَ منه قَبِلناه منه.

قال ابن حزم: جميعُ أصحاب أبي حنيفة مجمعون على أن مذهبَ أبي حنيفة أنَّ ضعيفَ الحديث أولى عنده من القياس والرأي.

قال عُبَيدالله بن عمرو الرَّقّي: كنا عند الأعمش وعنده أبو حنيفة، فسُئل الأعمشُ عن مسألة فقال: أفتِه يا نعمان، فأفتاه أبو حنيفة، فقال:

من أين قلتَ هذا؟ قال: لحديثٍ حدَّثتناه أنت! ثم ذَكَر له الحديث، فقال له الأعمش: أنتم الأطباءُ ونحن الصيادلة.

أحمد بن أبـي خيثمة: نا إبراهيم بن بشار، عن سفيان بن عيينة قال: مررتُ بأبـي حنيفة في المسجد وإذا أصحابُه حولَه قد ارتفعت أصواتُهم، فقلت: ألا تنهاهم عن رفعِ الصوت في المسجد؟ قال: دَعْهم فإنهم لا يتفقهون إلا بهذا.

فصــــل

قال عُمَرُ بن شَبَّة: حدثني أبو نعيم: سمعتُ زُفَرَ بن الهُذَيل يقول: كان أبو حنيفة يَجهرُ في أمر إبراهيم بن عبدالله بنِ حَسَنٍ جهراً شديداً، فقلتُ: واللَّـهِ ما أنت بمنتهٍ حتى نُـؤتَى فتُوضَعَ في أعناقنا الحبال، قال أبو نعيم: فغدوتُ أُريدُ أبا حنيفة، فلقيتُه راكباً يريدُ وَداع عيسى بن موسى قد كاد وجهُهُ يَسْوَدُّ، فقَدِمَ بغداد فأُدخِلَ على المنصور.

محمد بن شجاع الثلجي، سمعتُ الحسن بن أبـي مالك، سمعت أبـا يوسف، سمعت أبـا حنيفة يقـول: يَقدَمُ علينـا من هـذا الـوجـهِ / صنفان ــ يعني من خراسان: الجَهْمَيَّةُ والمُشَبِّهة. ٢٢

النضر بن محمد، عن أبـي حنيفة أنه قال: جَهْمٌ ومقاتل كانـا فاسِقَينِ، أفرَطَ هذا في التشبيه، وهذا في النفي.

قال أبو يوسف: قال أبو حنيفة: لا ينبغي للرجل أن يُحدِّث من الحديث إلا ما يحفظه من وقتِ ما سَمِعَهُ.

شعيب بن أيوب الصَّرِيفِيني: ثنا أبو يحيـى الحِمَّـاني، سمعتُ أبا حنيفة يقول: رأيتُ رؤيا أفزعتني، رأيتُ كأني أنبِشُ قبرَ النبـي صلى الله عليه وسلم، فأتيتُ البصرة فأمرتُ رجلاً يَسأل محمدَ بن سيرين،

فقال: هذا رجل يَنْشُرُ أخبارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: هذا رجل يَنشُرُ علم النبوة.

ورَوَى محمد بن شجاع الثلجي، عن الحسن بن أبـي مالك، عن أبـي يوسف، قال: رأى أبو حنيفة كأنه يَنبِشُ قبرَ النبـي صلى الله عليه وسلم ثم يأخذ عِظامَه يجمعها ويؤلفها فهاله ذلك، فأوصَى صَدِيقاً له إذا قَدِمَ البصرة أن يَسأل ابن سيرين، فسأله فقال: هذا رجل يَجمع سُنةَ النبـي ويُحييها.

وقال علي بن عاصم: سمعت أبا حنيفة يقول: رأيتُ كأني نبشتُ قبرَ النبـي صلى الله عليه وسلم فَجزِعتُ وخِفتُ أن يكون رِدَّةً عن الإسلام، فجهَّزتُ رجلاً إلى البصرة، فقَصَّ على ابن سِيرين الرؤيا، فقال: إن صدَقَتْ رؤيا هذا الرجل فإنه يَرِثُ عِلم نبـي.

ابنُ أبـي رِزْمَة، عن عَبْدانَ، أنه سمع ابن المبـارك يقول: إذا سمعتُهم يذكرون أبا حنيفة بسُوءٍ ساءني ذلك، وأخاف عليهم المقتَ من الله تعالى.

علي بن مَعْبَد، ثنا الشافعي قال: قال الليثُ بن سعد: كنتُ أسمَعُ بذكر أبـي حنيفة، فأتمنَّى أن أراه، فإني لبمكة إذ رأيتُ الناس مُتقَصِّفِين على رجل، فسمعتُ رجلاً يقول: يا أبا حنيفة. فقلت: إنه هو. فقال: إني ذو مال، وأنا من خراسان، ولي ابنٌ أزوِّجُهُ المرأةَ، وأنفقُ عليه المالَ الكثير، فيُطلِّقُها فيذهَبُ مالي، وأشترِي لـه الجاريـة بالمـالِ الكثير فيُعتِقُها، فَيَذهَبُ مالي، فهل من حيلة؟

قال أبو حنيفة: أدخِلْه سُوقَ الرقيق، فإذا وقعت عينُه على جارية فاشترِها لنفسك، ثم زوِّجها إياه، فإن طلقها رَجَعَتْ مملوكةً لك، وإن

أعتقها لم يَجُز عتقُه. قال الليثُ: فوالله ما أعجبني صَوابُهُ كما أعجبني سُرعة جوابِه. ورَوَى نحوها الطحاوي / بإسناد آخر إلى الليث. ٢٣

محمد بن شجاع، سمعتُ علي بن عاصم يقول: لو وُزِنَ عقلُ أبـي حنيفة بعقلِ نصفِ أهل الأرض لرَجَح بهم.

قال الطحاوي: سمعتُ محمدَ بن العباس وأحمدَ بن أبـي عمران يذكرانِ أن إسماعيلَ بن محمد بن حماد، قال: شككتُ في طلاق امرأتي، فسألت شَرِيكاً فقال: طلِّقْها وأشهِدْ على رجعتِها، ثم سألتُ سفيان الثوري فقال لي: [اذهَبْ فراجِعْها]، فإن كنتَ طلَّقتَها فقد راجعتَها، ثم سألتُ زُفَرَ بن الهُذَيل فقال لي: هي امرأتُك حتى تتيقن طلاقَها، فأتيتُ أبا حنيفة فقال لي: أما سفيان فأفتاك بالورع، وأما زفر فأفتاك بعين الفقه، وأما شَرِيك فهو كرجل قلتَ له: لا أدري أصاب ثوبـي بولٌ أم لا؟ فقال لك: بُلْ على ثوبِك واغسِله[1].

محمد بن شجاع، سمعتُ الحسن بن زياد اللؤلؤي يقول: أتيتُ داود الطائي أنا وحمادُ بن أبـي حنيفة، فجَرَى ذكرُ شيء، فقال داود لحماد: يا أبا إسماعيل مهما تكلَّم فيه المتكلم بشيء، رجاءَ أن يَسلم

---

(١) رأيت في مجموعة بخط الحافظ البِرْزَالي هذه القصة من غير طريق الطحاوي، يَذكُرُ فيها أبا حنيفة بدل زفر، ثم يسأل السائلُ زفرَ فيقول زفرُ: هل سألت غيري فيقول: نعم، ثم يَسردُ السائل أجوبة هؤلاء، فيقول زفرُ: الصوابُ ما قاله أبو حنيفة، أضرِبُ لك مثلاً: أنت مررتَ بثَعْبٍ يَسِيلُ ماءً، فأصاب ثوبك، قال لك أبو حنيفة ثوبُك طاهر، وصلاتك تامة، حتى تستيقن أمرَ الماء، وقال لك سفيان: اغسله، فإن يك نجساً فقد طهر، وإن يك نظيفاً زاده نظافة، وقال لك شريك: اذهَبْ فبُلْ عليه ثم اغسِلْه (ز).

منه، فليَحذر أن يَتكلم في القرآن إلا بما قال الله عز وجل فيه، فلقد سمعتُ أباك يقول: أعلَمَنا الله أنه كلامُه، فمن أخَذَ بما عَلَّمه الله فقد استمسك بالعروة الوثقى، فهل بعدَ التمسك بالعروة الوثقى إلا السقوطُ في الهَلَكة؟! فقال حماد لداود: جزاك الله خيراً فنعم ما أشرتَ به.

علي بن الحسن بن شقيق، حدثني إسحاق بن الحسن الكوفي، قال: جاء رجل إلى سوق الخزَّازين بالكوفة يَسألُ عن دكان أبـي حنيفة الفقيه، فقال له أبو حنيفة: ليس هو بفقيه هو مُفْتٍ متكلِّفٌ.

محمد بن شُجاع الثلجي، سمعتُ حِبَّان يقول: أتَتْ امرأةٌ أبا حنيفة بثوب فقال: بكم هو؟ قالت: بمئةِ درهم، قال لها: هو خيرٌ من ذلك.

٢٤ قالت: بمئتين؟ / قال: هو خيرٌ من ذلكِ. قالت: بثلاث مئة؟ قال: هو خير من ذلكِ. قالت: بأربع مئة. فاشتراه بأربع مئة.

وقيل: إنَّ رجلاً جاء إلى أبـي حنيفة فقال: بِعْني ثوبين وأحسِنْ بيعي، قال: أيَّ لون تريد؟ فوَصَف له، فقال أتُنظِرُني جُمُعتَينِ؟ قال: نعم، فذهب ثم جاءه بعد ذلك، فدَفَع إليه الثوبين وديناراً، وقال: إني لم أُحسِن إليك، إني جَعلتُ لك بضاعةً، فرُزِقْتَ من عند الله فاحْمَدْهُ. فقالوا لأبـي حنيفة، فقال: ألم تَسمعوا إلى قوله: وأحسِنْ بيعي؟

حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير قال: إذا قال الرجل للرجل أحسِنْ بيعي فقد ائتَمَنه.

عُبَيد بن يعيش: ثنا وكيع، قال: كان سفيان إذا قِيل له: أمؤمِنٌ أنت؟ قال: نعم، وإذا قيل له: عند الله قال: أرجو. وكان أبو حنيفة يقول: أنا مؤمن ها هنا وعند الله.

قال أبو بِشْر الدُّولابيُّ: حدَّثني محمد بن سعدان، حدثني الضَّبِّيُّ مؤدِّبُ المُعِزّ، قال: كان أبو أَسِيد يجالس أبا حنيفة، وكان شيخاً عفيفاً مغفَّلاً[١]، فقال مرةً في مجلس أبي حنيفة لرجل: ارفَعْ ركبتك فإني أريد أن أبولَ، وإنما أراد أن يَبزُق. فقال الرجل لأبي حنيفة: ألا تَسمَعُ ما يقول؟ قال أبو أَسِيد: أليس يقال: إذا جالستَ العلماء فجالِسْهم بقِلَّةِ السكينة والوقار؟ فضَحِك أبو حنيفة والقومُ منه.

وكان أبو أَسِيد جالساً في الشارع، إذ مَرُّوا ببَكْرَةٍ سَمِينة[٢]، فقال: ليتها لي! قالوا: ما تصنَعُ بها؟ قال: أختِنُها وأنحَرُ ابني!

قال: وتهيأ يومَ الأحد، ولبِسَ ثيابَ يوم الجمعة، وتطيَّب وخَرَج وجلس إلى صديق له عطار، فتحدَّث عنده ساعةً ثم قال: ألا تقومُ بنا إلى الجمعة؟ فقال له: يا أبا أَسِيد اليومَ الأحد، الناسُ يغلطون بيوم وأنت تغلَطُ بالأسبوع كله! قال: ما ظَننتُ إلا أنه الجمعة.

قال: ومَرِضَ فعاده أبو حنيفة، فقال: كيف تَجِدُك؟ قال: بخير، قال: أطعموك اليوم شيئاً / قال: نعم مَرَقَةَ رُبٍّ ٢٥

(١) لعله يريد بذكر نوادر أبي أَسِيد هنا: الإشارةَ إلى مبلغ رحابة صدر أبي حنيفة، ودرجةِ تلطفه مع من يتردد إلى مجلسه ولو لم يكن من طلاب العلم، ولم تكن مجالسُ أهل العلم تخلو من بعض المغفلين المترددين إليها من غير قابلية عندهم للعلم، وكان العلماء يتلطفون معهم ويصبرون على نوادرهم، حَذَراً من كَسْرِ خواطرهم بزجرهم لئلا يجتمع عندهم الحرمان من العلم مع الهوان المكشوف (ز).

(٢) أي بناقةٍ سَمِينة.

جُمَيِّزٍ ورُمَّان[١]! فضَحِك أبو حنيفة وقال له: أنت في عافية.

داود بن رُشَيد: ثنا يحيى بن سعيد الأُموي، عن أبي حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم، قال: أخبرني من رأى قبرَ النبي صلى الله عليه وسلم مُسَنَّماً عليه أفلاق من حجارةٍ بِيْض.

الطحاوي، سمعتُ أحمد[٢] [بن أبي عِمرانَ يقول: سمعتُ هلال بن يحيى يقول: سمعتُ يوسف] بن خالد السَّمْتِيَّ يقول: جالستُ أبا حنيفة سنتين ونصفَ سنة، فما سمعتُه لحَنَ في شيء إلا في حرف واحد، زَعَم أهلُ اللغة أنَّ له فيه مَخْرَجاً.

محمد بن أحمد بن حفص فقيهُ بخارى، عن أبي وهب محمد بن مُزاحم أو غيرِه، عن ابن المبارك، قال: ما لَزِمتُ سفيان حتى جَعَلْتُ عِلمَ أبي حنيفة هكذا، وأشار بقَبْضِ يده.

وقال أبو القاسم عبدُالله بن محمد بن أبي العوام السعديُّ قاضي مصر: حدثني إبراهيم بن أحمد الترمذي، سمعتُ أبا نصر محمد بن محمد بن سلام البلخي، سمعتُ نُصَيرَ بن يحيى البَلْخِي يقول: قلتُ

---

(١) هكذا في الأصل، والمَرَقَةُ لا تكون إلا من اللحم، وقد جعَلَها أبو أسيد من الرُّبّ، «والرُّبُّ» بالضم والإهمال: المُرَبَّى المصنوعُ من الفواكه، لكن الجُمَيِّز من أردأ الفواكه، قلَّما يُصنَعُ منه مُرَبَّى، إلا أن ما يَرغبُ فيه مثلُ أبي أسيد يكون شيئاً من هذا القبيل، مما لا يَرغبُ فيه سواه ولا سيما في حالة المرض (ز).

(٢) كان في الأصل «أحمد بن خالد» وقد سقط منه ما كان بين «أحمد» و«بن»، فزدته من كتاب ابن أبي العوام، ذكره عند ذكر خالد بن يوسف (أبو الوفاء).

لأحمد بن حنبل: ما الذي تَنْقِمُ على هذا الرجل؟ قال: الرأيَ قلتُ: فهذا مالك ألم يتكلَّم بالرأي؟ قال: بلى، ولكِنْ رأيُ أبـي حنيفة خُلِّدَ في الكتب، قلتُ: فقد خُلِّد رأيُ مالك في الكتب. قال: أبو حنيفة أكثَرُ رأياً منه. قلتُ: فهلا تكلمتُم في هذا بحصتِه وهذا بحصتِه؟! فسكَتَ.

فصل في وَرَعِه سوى ما تقدم

قال ابنُ كَأْس القاضي: ثنا الحُسَينُ بن الحَكَم الحِبَري[1]، ثنا علي بن حفص البزّاز، قال: كان حفصُ بن عبدالرحمن شريك أبـي حنيفة، وكان أبو حنيفة يُجهِّزُ عليه، فبعَثَ إليه أنَّ في ثوبٍ كذا عيباً، فإذا بعتَه فبيِّنْ، فنَسِيَ حفصٌ وباعه / من غير تِبيان من رجل غريب، وعَلِمَ أبو حنيفة فتصدَّقَ بجميع ثمنه. ٢٦

قال أبو نعيم: كان أبو حنيفة حسَنَ الدين، عظيمَ الأمانة.

قال محمد بن إسحاق بن خلف البَكّائي[2]: نا جعفر بن عون

---

(١) وقع في الأصل (الحسن بن الحكم الحبري)، وصوابه: (الحُسَيْن) بالتصغير، كما في «أخبار الصيمري» ص ٣٤، و «تاريخ بغداد» ١٣ :٣٥٨، و «الأنساب» للسمعاني ٤ :٤٥، و «تبصير المنتبه» لابن حجر ١ :٣٦٣. و (الحِبَرِي) بكسر الحاء وفتح الباء، نسبة إلى (الحِبَرَة) نوعٍ من الثياب، كما في «الأنساب» (أبو الوفاء).

(٢) محمد بن إسحاق بن عون، ويقال: خلف البَكّائي (بالفتح) ثم العامري. روى عن يعلى بن عبيد، وجعفر بن عون، وأبـي غسان النهدي، وأحمد بن يونس، وخالد بن مخلد، وعُبَيدالله بن موسى، وقَبِيصة وغيرِهم، وعنه ابنُ ماجه، وأبو عوانة، ومحمد بن المنذر شَكَّر، والهيثم بن خلف الدُّوْرِي، وأبو العباس أحمد بن محمد وغيرُهم، ذكره ابن حبان في «الثقات». مات في شعبان سنة أربع وستين ومئتين (أبو الوفاء).

وغيرُه أنَّ امرأةً أتت أبا حنيفة تَطلُبُ منه ثوبَ خز، فأخرجوه إليها. فقالت: إني امرأة ضعيفة فبعنيه بما تَقوَّمَ عليك. فقال: خذيه بأربعة دراهم. فقالت: لا تسخر بـي. فقال: سبحان الله! إني ابتعت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم.

علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك، قال: سُئل أبو حنيفة أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: طلَبُ العلم، قيل: ثم أيٌّ؟ قال: ما اشتَدَّ عليك.

وعن خارجة بن مُصْعَب قال: أجاز المنصورُ أبا حنيفة بعشرةِ آلافِ درهم، ودُعِيَ ليَقْبِضَها، فشاوَرَني، ثم قال: هذا رجل إن رددتُها عليهِ غضِب، وإن قبلتُها دَخَل عليَّ [في ديني][1] ما أكرهُهُ. فقلتُ: إنَّ هذا المالَ عظيم في عينه، فإذا دُعِيتَ لتقبضَها فقل لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين، ففعل، ورُفِعَ ذلك إلى المنصور فحبَسَها عنه[2].

وعن الحسن بن زياد اللؤلؤي قال: واللّـهِ ما قَبِلَ أبو حنيفة لأحد منهم جائزة ولا هدية، يعني الأمراء.

محمد بن عبدالملك الدَّقِيقي، سمعتُ يزيد بن هارون يقـول: لم أر أعقَلَ، ولا أفضَلَ، ولا أورَعَ، من أبـي حنيفة.

أبـو قِلابَـة، سمعتُ محمد بن عبـدالله الأنصاري يقـول: كـان أبو حنيفة تبيَّنَ عقلُه في منطقِه وفعلِه ومِشيتِهِ ومدخلِه ومَخرجِه.

قال عبدالحميد الحِمَّاني: ما رأيتُ أفضَلَ من أبـي حنيفـة ديناً ووَرَعاً.

---

(١) ما بين المربعين زيادة من مناقب الموفق ١ : ٢١١ (أبو الوفاء).

(٢) ولفظ الموفق «فدُعِيَ ليقبضها، فقال ذلك فرُفِعَ إليه خبرُه فحبس الجائزة» (ز).

محمد بن علي بن عفان، ثنا يحيى بن عبدالحميد الحِمَّاني، عن أبيه قال: كنتُ عند أبي حنيفة، فجاءه رجل فقال: سمعتُ سفيان يَنالُ منك ويتكلَّم فيك، / فقال: غَفَر الله لنا ولسفيان، لو أنَّ سفيان فُقِدَ في زمن إبراهيم النخعي لدَخَلَ على المسلمين فَقْدُه. ٢٧

محمد بن الصقر بن مالك بن مِغْوَل[١]، سمعتُ إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة يقول: قال أبو حنيفة: استَحَلَّ مني ابنُ أبي ليلى ما لا أستحِلُّهُ أنا من بهيمة[٢].

أبو يحيى بنُ أبي مَيْسَرة: ثنا خَلَّاد بن يحيى قال: قال مِسْعَرُ بن كِدَام: طلبتُ مع أبي حنيفة الحديثَ فغَلَبنا، وأخَذْنا في الزهد فبَرَع علينا، وطلبنا معه الفقه فجاء منه ما تَرَوْن.

قال ابنُ كأس: ثنا أبو بكر المَرُّوْذِيُّ، سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: لم يَصِحَّ عندنا أن أبا حنيفة رحمه الله قال القرآنُ مخلوق، فقلتُ: الحمدُ لله يا أبا عبدالله، هو من العلم بمنزلة، فقال: سبحان الله! هو من العلم والورع والزهد وإيثارِ الدار الآخرة بمحل لا يدركه فيه أحَدٌ، ولقد ضُرِبَ بالسياط على أن يلي القضاء لأبي جعفر فلم يفعل.

---

(١) هكذا في الأصل، فنُسِبَ إلى جده لِأُمِّ أبيه، لأنه «ابن عبدالرحمن ابن بنت مالك بن مِغْوَل». كما في الميزان واللسان وتاريخ الخطيب والتأنيب ص ٢٩ و ٥٩ (ز).

(٢) وفي لفظ ابن أبي العوام «من سِنَّوْرَة» بدل «من بهيمة» (ز). قلتُ: وفي مناقب الموفق ٢: ١٣، من رواية شيبة بن عبدالرحمن بن إسحاق، عن محمد بن خارجة الصيرفي، عن الإمام بلفظ «إن ابن أبي ليلى يستحل مني ما لم أكن مستحلاً له من سِنَّوْرَة وحِمَارة» (أبو الوفاء).

يحيى بن عبدالحميد الحِمَّاني، عن أبيه، سَمِع أبا حنيفة يقول: جَهْمُ بنُ صفوان الخراساني كافر[١].

فصل في الاحتجاج بحديثه

اختلفوا في حديثه على قولين، فمنهم من قَبِلَه ورآه حُجَّة[٢]، ومنهم من ليَّنه لكثرةِ غلَطِه في الحديث ليس إلا.

٢٨ قال علي بن المديني: قيل ليحيى بنِ سعيد / القطان: كيف كان حديثُ أبـي حنيفة؟ قال: لم يكن بصاحب حديث[٣].

---

(١) أما ما يقال من أنه قال له: «اخرُجْ يا كافر» فلم أرَهُ بسند متصل، وإن كان عند جهم بدع مكفرة (ز).

(٢) وعليه جمهورُ الفقهاء وأهل الحديث الأيقاظ من غير متعصبة الحشوية، والثاني زَعْمُ أذيال الحشوية الجهلة من النقلة المتعصبة، وهم ممن لا يُقامُ لكلامهم وزن! فدونك ابنَ عدي صاحب «الكامل»، تراه يحمل ما وقَع في كلامِ شيخه أبَّاءِ بن جعفر من أوهام له في أحاديثِ أبـي حنيفة على الإمام نفسه ظلماً وعدواناً، وقد أفضتُ في هذا البحث في تأنيب الخطيب (ز).

(٣) في سند هذا الخبر في «تاريخ الخطيب» ابنُ حَيُّويه، كان ضعيفاً متساهلاً في الرواية، يحدث من كتب ليس عليها سَمَاعُه، وبمثل هذا السند لا يَثْبُت عن ابنِ المدينيِّ شيء، بل ابنُ المديني نفسُه لم يَنجُ من جروح الرواة حتى قال قائلهم فيه:

يابن المدينيِّ الذي عُرِضَتْ له   دُنْيا فجاد بـدِينِهِ لينـالَها!

نعم أبو حنيفة لم يكن متفرغاً للرواية، يَعقِدُ لصنوف النقلة مجالس تحديث، بل كان مجلسُهُ مجلسَ تفقيه، يَحضرُه المتدربون على الاستنباط من أذكياءِ المتفقهة، بل كبارُ المجتهدين المتخرجون عليه، فيحدثهم بمناسبات، وصاحبُ الحديث عندهم هو المتفرغ لروايته بدون العناية بالتفقه فيه، وأين التفقيه والتفقه في الدين من الرواية المجردة؟ (ز).

قلتُ: لم يَصرِف الإمامُ هِمَّتَهُ لضبط الألفاظ والإسناد، وإنما كانت هِمَّتُهُ القرآنَ والفقه[١]. وكذلك حالُ كلٍّ من أقبَلَ على فَنّ، فإنه يَقصُرُ عن غيره.

من ثَمَّ ليَّنوا حديثَ جماعة من أئمة القراء كحفص، وقالون، وحديثَ جماعةٍ [من][٢] الفقهاء كابن أبي ليلى، وعثمان البَتِّي، وحديثَ جماعةٍ من الزهاد كفَرْقَد السَّبَخِي، وشقيق البلخي، وحديثَ جماعة من النحاة، وما ذاك لضعفٍ في عدالةِ الرجل، بل لقلةِ إتقانه للحديث، ثم هو أنبَلُ من أن يَكذِب.

وقال ابن معين فيما رواه عنه صالح بن محمد جَزَرَة وغيرُه: أبو حنيفة ثقة.

---

(١) الذهبي لم يحرر المقام تحت تأثير خلطائه من الحشوية المنحرفين البعداء عن تعقل دقة مدارك أبي حنيفة ومنزلته السامية في سعة العلم، وليس شأنُ المجتهدِ، الذي دان له شطرُ الأمة بل ثلثاها، وجَرَى باقي الأئمة على نُورِ تأصيله وتفريعِهِ مدى القرون: أن يُغفِلَ ضبطَ الحديث إسناداً ومتناً، مع قرب عهده من حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لكن الهوى يجعل الضابط الثقة ضعيفاً غالطاً!

وأين المتفرغُ إلى الاجتهاد ملتفاً حوله كبارُ المجتهدين المتخرجون عليه من المتفرغ للقضاء أو القراءة أو الزهد؟ والاجتهادُ في مثله لا يتم إلا بالتضلع في الكتاب والسنة والآثار، وفي معرفةِ مواقع الإجماع والخلاف، لكن ذنبُ أبي حنيفة أن أكثر القضاة الذين امتَحَنوا الرواة في عهد المأمون كانوا على مذهبه، فانتقموا منهم بالنيل من إمامهم! سامحهم الله. وتفصيلُ هذا البحث في «التأنيب» (ز).

(٢) كان لفظ «من» ساقطاً من الأصل فزدته هنا لتصح العبارة (أبو الوفاء).

وقال أحمد بن محمد بن القاسم بن مُحرِز، عن يحيى بن معين: لا بأسَ به[١]. وقال أبو داود السجستاني: رَحِمَ الله مالكاً كان إماماً، رَحِمَ الله أبا حنيفة كان إماماً.

٢٩ / فَصْلٌ في منثورِ أخبارِه

روى الخطيب من طريق أحمد بن عطية: ثنا الحسن بن الربيع، نا قيس بن الربيع: كان أبو حنيفة يَبعث بالبضائع إلى بغداد، فيشتري بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة، ويَجمعُ الأرباحَ عنده من سنة [إلى سنة][٢]، فيشتري بها حوائجَ الأشياخ المحدِّثين وأقواتَهم وكِسْوَتَهم [وجميعَ حوائجهم]، ثم يُعطيهم[٣] ويقول: لا تَحْمَدُوا إلا الله، [فإني] ما أعطيتكم من مالي شيئاً، ولكن من فضل الله عليَّ فيكم[٤].

---

(١) قال الخطيب: أخبرنا ابنُ رِزق، حدثنا أحمد بن علي بن عَمْرو بن حُبَيش الرازي، سمعت محمد بن أحمد بن عِصام يقول: سمعتُ محمدَ بن سعد العَوْفيَّ يقول: سمعت يحيى بنَ معين يقول: «كان أبو حنيفة ثقةً، لا يُحدِّثُ إلا ما يَحفَظُ، ولا يُحدِّثُ بما لا يحفظ» وهذا يقضي على من يرميه بقلة الضبط.
وقد أخرج ابن عبدالبر في «الانتقاء» بسنده عن ابن معين أيضاً أنه قال عن أبي حنيفة: «إنه ثقة، ما سمعت أحداً ضعَّفُه». فظهر أن تضعيفَه حَدَثَ فيما بعدَ ابنِ معين حيث استفحل شرُّ الحشويةِ البُعَداءِ عن الفهم (ز).

(٢) ما بين المربعات من هذه الصفحة زيد من تاريخ الخطيب (أبو الوفاء).

(٣) ولفظ الخطيب في تاريخه «ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم فيقول: أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله» (أبو الوفاء).

(٤) زاد الخطيب في تاريخه «وهذه أرباح بضائعكم فإنها هي والله مما يُجريه الله لكم على يدي، فما في رزق الله حول لغيره» (أبو الوفاء).

قد جاء غيرُ حكاية في جُوْدِ أبي حنيفة وبذلِهِ لتلامذته كأبي يوسف وغيره.

محمد بن علي بن عفان العامري، ثنا نمر بن حَدَّاد، عن أبي يوسف، قال: دعا المنصورُ أبا حنيفة فقال الربيعُ الحاجبُ ـ وكان يعادي أبا حنيفة: يا أميرَ المؤمنين، هذا يخالِفُ جَدَّك ابنَ عباس، كان يقول إذا حَلَفَ ثم استَثْنَى بعدَ يوم أو يومين جاز الاستثناء، وهذا لا يُجَوِّزُ الاستثناءَ إلا متصلاً باليمين!

فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين، إنَّ الربيع يَزعُمُ أنه ليس لك في رقاب جُندِك بَيعة! قال: وكيف؟ قال: يَحلفون لك ثم يَرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور وقال: يا ربيع، لا تَعَرَّضْ لأبي حنيفة.

يحيى بن عبدالحميد الحِمَّاني، سمعتُ ابن المبارك يقول: رأيتُ الحسَنَ بن عُمَارَة آخذاً بركاب أبي حنيفة وهو يقول: واللَّهِ ما أدركنا أحداً تكلَّم في الفقه / أبلَغَ، ولا أصبَرَ، ولا أحضَرَ جواباً منك، وإنك لسيدُ من تكلَّم في وقتك غيرَ مدافَع، وما يَتكلَّمون فيك إلا لحسد. ٣٠

سفيان بن وكيع، سمعت أبي يقول: دخلت على أبي حنيفة فرأيتُه مطرقاً مفكراً، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من عند شَرِيك، فأنشأ يقول:

إنْ يَحسُدوني فإني غيرُ لائمهم ... قَبْلي من الناس أهلَ الفضل قد حَسَدوا

فَدَام لي ولهم ما بي وما بِهِمُ ... ومات أكثَرُنا غَيْظاً بما يَجِدُ

فصل في وفاة أبـي حنيفة

قيل: إنه بقي في نفس المنصور من أبـي حنيفة، لقيامه مع إبراهيم بن عَبْدِالله، على المنصور، وكان أبو جعفر لا يُصطلَى له بنار، وفيه جَبروتٌ وشهامة، قال بشر بن الوليد: مات أبو حنيفة بالسجن ببغداد، ودُفِنَ في مقابر الخَيزُرَان.

أحمد بن قاسم البِرْتِي، عن بشر بن الوليد، عن أبـي يوسف قال: مات أبو حنيفة في نصفِ شوال سنَةَ خمسين ومِئة.

وقال الواقديُّ وغيرُهُ مات أبو حنيفة في رجب سنة خمسين ومئة، وله سبعون سنة.

وقال أبو حسان الزِّيادِي ويعقوبُ بن شيبة: مات في رجب سنة خمسين.

وجاء عن بعضهم: مات في شعبان. وفي رجبٍ أصح. وبلَغَنا أن المنصور سَقَاه السُّمَّ فاسْوَدَّ ومات شهيداً، رحمه الله تعالى.

ومن حديثه

أخبرنا أبو المعالي أحمد(١) بن إسحاق بن محمد [بن المؤيَّد] الهَمْدَاني بمصر، أنا أبو القاسم المبارك بن أبـي الجود ببغداد، أنا أحمد بن أبـي غالب الزاهد، أنا أبو القاسم عبدالعزيز بن علي الأنماطي، أنا أبو الطاهر (المُخَلِّص) محمد / بن عبدالرحمن الذهبـي، سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، ثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي، ثنا ٣١

(١) هو الأَبَرْقُوْهِي (ز).

إسحاق بن أبـي إسرائيل، أنا أبو يوسف، ثنا أبو حنيفة، عن علقمة بن مَرْثَد، عن سليمان بن بُرَيْدَة، عن أبيه قال:

أَتَى ماعزُ بنُ مالك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأقرَّ بالزنا، فرَدَّه، ثم عاد فأقرَّ بالزنا، فردَّه، ثم عاد فأقرَّ بالزنا، فردَّه، فلما كان في الرابعة سأل عنه قومَه: هل تُنكرون من عقله شيئاً؟ قالوا: لا. فأَمَر به فرُجِمَ في موضع قليلِ الحجارة، فأبطأ عليه الموتُ، فانطلق يَسعى إلى موضع كثيرِ الحجارة، واتَّبَعَه الناسُ فرجموه حتى قتلوه.

ثم ذكروا شأنَه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما يَصنَع، فقال: فلولا[١] خَلّيتم سبيلَه! قال فسأل قومُه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم[٢] واستأذنوه في دفنِهِ والصلاةِ عليهِ فأذِنَ لهم في ذلك، وقال: لقد تاب توبةً لو تابها فِئامٌ من الناس قُبِلَ منهم.

أخبرنا العباس بن أحمد بن عبدالرحمن، وأبو الفداء إسماعيل بن عبدالرحمن، وأبو عبدالله محمد بن خازم الحنبليون، قالوا: أنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله التَّغْلِبـي، زاد أبو الفداء: فقال: وأنا أبو محمد بن قُدَامة، قالا: أنبأ أبو المكارم عبدالواحد بن محمد بن

---

(١) وفي مسند الحارثي من طريق أبـي سعد وأسد بن عمرو والمقري عن الإمام «هلا». ومن طريق الحسن بن عمر بن شقيق وأبـي يوسف وكذا من طريق محمد وأبـي معاوية عن الإمام «لولا». ومن طريق أبـي يحيـى الحماني «ألا». ومن طريق حمزة الزيات «فلولا» كما هنا (أبو الوفاء).

(٢) وعند الحارثي في هذا الحديث «ثم ذكروا شأنه وما صَنَع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لولا خليتم سبيله. قال: فاستأذن قومُهُ رسولَ الله صلى الله =

هلال، أنا أبو الفضل عبدالكريم بن المؤمَّل الكَفَرْطابِـي حُضُوراً سنة إثنتين وتسعين وأربع مئة، أنـا عبدالـرحمن بن عثمان التميمي، أنـا خَيْثَمة بن سليمان القرشي بدمشق، أنا إسحاق بن سَيَّار بنَصِيبين، ثنا عُبَيْدُاللَّه بن موسى، عن أبـي حنيفة، عن نافع، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، قال: نَهَى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يومَ خيبر عن مُتعةِ النساء.

٣٢ / ومن المَنَاماتِ المُبشِّرَةِ لأبـي حنيفة

قال القاسم[١] بن غَسَّان القاضي: ثنا أبـي، ثنا أبو نعيم، قال: دخلتُ على الحسن بن صالح يومَ موتِ أخيه، فرأيتُه يَستطعم شيئاً من رجـل[٢] ويَضحك، فقلت: تَـدفِنُ أخاك علياً غُدوةً وتَضحَـكُ آخِرَ النهار[٣]!

قال: ليس على أخي من بأس. قلتُ: وكيف ذاك؟ قال: دخلتُ عليه فقلتُ: كيف تَجِدُك؟ قال: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين [وحَسُنَ أولئك رفيقاً]، فتوهمته يتلو الآية.

= عليه وسلم في دفنه والصلاة عليه، الحديث» إلا أن راوي أبـي يوسف في المسند الحسن بن عمر بن شقيق وهنا إسحاق (أبو الوفاء).

(١) كان في الأصل «أبو القاسم». والصواب «القاسم» كما هو عند ابن أبـي العوام، وكما سيجيء أيضاً (أبو الوفاء).

(٢) وكان في الأصل «يستطعم حديثاً» والصواب «يستطعم شيئاً من رجل»، كما هو عند ابن أبـي العوام (أبو الوفاء).

(٣) وعند ابن أبـي العوام «صَدْرَ نهاره» (أبو الوفاء).

ثم قلتُ: يا أخي: كيف تَجِدُكَ؟ قال: مَعَ الذين أنعم الله عليهم وأعاد الآية، فقلتُ: أتقرأُ أم تَرَى شيئاً؟ قال: أفلا تَرى ما أرى؟ قلت: لا، [فماذا ترى]؟ قال: بلى ورَفَع يده فقال: [هذا] نبيُّ الله محمد صلى الله عليه وسلم يَضحَكُ إليَّ ويُبشرني بالجنة، وهؤلاء الملائكةُ معه [كذلك] بأيديهم حُلَلُ السُّنْدُسِ والإِسْتَبْرَق[١]، وهؤلاء الحُوْرُ العِينُ متحلياتٍ متزيِّناتٍ ينتظرن متى أَصِيرُ إليهن. فتكلَّم بهذا[٢] وقَضَى رحمةُ الله عليه، فلماذا أحزَنُ عليه وقد صار إلى نعيم؟

قال أبو نُعَيم: فلما كان بعدَ أيام صِرتُ إلى الحسن بن صالح، فقال [لي حين رآني] يا أبا نُعَيم، علمتَ أني رأيتُ أخي البارحةَ [في منامي، كأنه صار إليَّ] وعليه ثيابٌ خضر، فقلت [له: يا أخي] أليس قدْ مِتَّ[٣]؟ قال: بلى. قلتُ فما هذه الثياب التي عليك؟ قال: السُّندُس والإِسْتَبْرَقُ، ولك يا أخي عندي مثلُها.

قلتُ: ماذا فَعَل بك ربك؟ قال: غَفَر لي وباهى بـي وبأبـي حنيفة رضي الله عنه الملائكة. قلت: أبو حنيفة النعمان بن ثابت؟ قال: نعم. قلتُ: وأين / منزله؟ قال: نحن في جوار في أعلى عِلِّيِّين. قال القاسم: قال أبـي: فكان أبو نُعَيم إذا ذَكَر أبا حنيفة [أو ذُكِرَ بين يديه] يقولُ: بَخٍ بَخٍ في أعلى عِلِّيِّين[٤]! ٣٣

---

(١) وزاد ابن أبـي العوام «وأطباقُ الطيب» (أبو الوفاء).

(٢) وعند ابن أبـي العوام «فقالَ هذا» (أبو الوفاء).

(٣) وفي كتاب ابن أبـي العوام «ألستَ قد مِتَّ» (أبو الوفاء).

(٤) زاد ابن أبـي العوام «ثم يَذكُرُ هذا الحديث» (أبو الوفاء).

أبو بِشْر الدُّولابـي: ثنا أحمد بن القاسم البِرْتي، حدثني أبو علي أحمد بن محمد بن أبـي رجاء، سمعتُ أبـي يقول: رأيت محمدَ بنَ الحسنِ في المنام، فقلتُ: إلامَ صِرتَ؟ قال: غُفِرَ لي. قلت: بم؟ قال: قِيل لي: لم نجعل هذا العلمَ فيك إلا ونحن نَغفِرُ لك.

قلتُ: فما فَعَل أبو يوسف؟ قال: فوقنا بدَرَجَة. قلت: فأبو حنيفة؟ قال: في أعلى عِلِّيِّين.

محمد بن حماد المِصِّيْصِي مولى بني هاشم، حدثني إبراهيم بن واقد، ثنا المطلب بن زياد، أخبرني جعفر بن الحسن إمامُنا، قال: رأيتُ أبا حنيفة في النوم فقلت له: ما فَعَل الله بك يا أبا حنيفة؟ قال: غَفَر لي. قلتُ له: بالعلم؟ قال: ما أضرَّ الفتوى على صاحبها! قلتُ: بِمَ؟ قال: بقولِ الناس فيَّ ما لم يَعلَمْهُ مني.

محمد بن حماد أيضاً، ثنا محمد بن إبراهيم الليثي، ثنا حُسَين الجُعْفِي، ثنا عَبَّاد التمَّار، قال: رأيتُ أبا حنيفة في النوم فقلت: إلامَ صِرتَ؟ قال: إلى سعةِ رحمتِه. قلتُ: بالعلم؟ قال: هيهات! للعلم شروط وآفات، قَلَّ من ينجو. قلتُ: فبِمَ ذاك؟ قال: بقولِ الناس فيَّ ما لم أكُنْ عليه. والله أعلم بالصواب[١].

* * *

---

(١) انظر إلى هذه المبشرات وأسانيدها، وقد خَتَم الذهبـي «جزأه» بها، ثم انظر إلى ما خَتَم به الخطيب ترجمةَ أبـي حنيفة في تاريخه، لتَعتَبِرَ بمبلغ ما ينطوي عليه الخطيبُ من الخبث البالغ. =

. . . .

= وفي سند أُقصوصته، التي يَتخيلها المتخيلُ في نومِه أو يَقَظتِه، عبدُالله بن جعفر بن درستويه، الذي ضعَّفه البَرْقَاني واللالكائي واتهم بروايةِ ما لم يَسمعه إذا دُفِع إليه درهم، والخطيبُ يشتم الناس على لسانِهِ بعد أن سعى في تبرئته مما رُمِيَ به.

لكنَّ أكتافَ الخطيب تَضعُفُ عن حمل التهم الموجهة إليه بحق.

ويعقوبُ بنُ سفيان شيخُهُ في السند، قيل عنه: إنه كان يتكلم في عثمان رضي الله عنه، فمثله إذا تكلم في أبـي حنيفة لا يُستغرب.

وشيخُه عبدُالرحمن هو رُسْتَهْ الذي تكلَّم فيه الحافظ أبو مسعود الرازي كلاماً شديداً، وابنُ المديني كان قويَّ الصلة بأحمد بن أبـي دُؤَاد في محنة أهل الحديث، فترك أبو زرعة وأحمد الروايةَ عنه بعد المحنة، وبِشْرُ بن أبـي الأزهر إمـامُ أصحاب أبـي حنيفـة بنيسـابـور في عصـره، ومن أتبَـع أهـل العلم لأبـي حنيفة. فلا تكون الرؤيا بمثل ذلك السند إلا مختلَقَةً على لسانه. نسأل الله السلامة (ز).

بعون الله تعالى تمت ترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان

ويليها

ترجمة الإمام أبي يوسف، رضي الله عنهما

ترجمة الإمام أبي يوسف

للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

ولد سنة ٦٧٣ وتوفي سنة ٧٤٨ رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للَّـهِ العدلِ في قضائه، المتطوِّلِ بنَعْمَائـه، العَلِيّ في كِبْريَائه، وصلى الله على محمد أشرف أنبيائه، وسَلَّم تسليماً إلى يوم لقائه.

هذه ترجمةُ الإمام أبـي يـوسف القاضي يعقـوب بن إبراهيم بن حبيب بن خُنَيس[١] بن سَعْد بن بَجِير[٢] بن معاوية الأنصاري.

عُرِضَ سعدُ بن بَجِير يومَ أُحُدٍ على النبـي صلى الله عليه وسلم فاستصغره. وهو سَعْدُ بن حَبْتَةَ، شَهِدَ الخندقَ وما بعدَها، وإنَّ حَبْتَةَ هي ابنَةُ خَوَّات بن بَجِير الأنصاري.

ونَسَبُ سعـد في بَجِيلة، وإنمـا حـالَفَ الأنصـار. ومن ولـده النعمانُ بنُ سعد الراوي عن علي رضي الله عنه، وأخوه خُنَيْس بن سعد.

---

(١) هكذا عند الطحاوي أيضاً، لكن حقَّق ابن أبـي العوام أنَّ خُنَيساً ليس في عمود نَسَبِ أبـي يوسف، وإنما هو أخو حبيبٍ لا أبوه، وهكذا أيضـاً عندَ وكيـع القاضي (ز).

(٢) بالفتح والإهمال (ز).

وُلِدَ أبو يوسف سنة ثلاث عَشْرَة ومِئة بالكوفة[١].

وكتَبَ العلم عن طائفة من التابعين.

فسَمِعَ من هشامِ بن عروة، ويحيى بنِ سعيد، والأعمشِ، ويزيدَ بنِ أبي زياد، وعطاءِ بن السائب، وعُبَيدِالله / بن عمرو ٣٨ أبي إسحاق الشيباني، وحَجَّاجِ بن أَرْطَاةَ وطبقتِهم[٢].

---

(١) هذا ما ذكره الطحاوي وجرى عليه الجمهور، أخذاً بأحدثِ الروايات في المواليد احتياطاً، لكن قال أبو القاسم علي بن محمد السِّمْناني المتوفى سنة ٤٩٩هـ في «روضة القُضاة»: «توفي أبو يوسف وله تسع وثمانون سنة على خلاف في ذلك». ومثلُه في «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري، فيكون ميلادُهُ سنة ثلاث وتسعين، وبين التاريخين تفاوت عظيم كما ترى.
ولعل ميلاده كتب في بعض النسخ القديمة بالرقم هكذا (٩٣)، فانطمس رأس (٩)، أو كان غيرَ بارز فشابه (١)، فقرأ القارىء أن ميلاده سنة (١٣)، ولظهور أن ميلاده ليس بهذا القِدَم عُدَّ هذا بعد المئة الأولى، وإنما حُذِفت المئة اختصاراً كما هو المعتاد في المئات عند الأمن من الخطأ، فجَرَى ذكرُ (١١٣) كميلادٍ له ــ على إصلاح الرقم ظناً ــ في غالب الكتب.
وإلى ما ذهب إليه السِّمْناني جَنَحَ صاحبُ «أخبار الأُوَل» وصاحب «روضات الجنات» تقريباً. ويُستأنس فيما ذهبوا إليه بقول أبي يوسف: «إن طال بالناس الزمن رجعوا إلى فتى من أهل المدينة»، يُريدُ مالكاً، كما في جزء «ما رواه الأكابر عن مالك» للحافظ محمد بن مخلد العطار المتوفى سنة ٣٣١هـ بسنده إليه، ولو لم يكن أبو يوسف أكبرُ سناً من مالك أو في سِنِّهِ لما صح أن يقول عنه هذا القول. ومواليدُ السلف فيها اضطرابٌ كبيرٌ لتأخر تدوين كتب الوفيات.
والله أعلم (ز).

(٢) ومن شيوخه محمد بن إسحاق صاحب المغازي، وقد أَسنَد الموفَّقُ الخوارزمي في «مناقب أبي حنيفة» في ٢ : ٢٣١، بطريق محمد بن موسى الحاسب، عن =

وتفقَّهَ / بأبـي حنيفة، وهو أجلُّ أصحابه. ٣٩

=

إسحاق بن أبـي إسرائيل قال: كان أبو يوسف يقول: «اختلفتُ إلى أبـي حنيفة في التعلم منه، ولكن كان لا يفوتني سَمَاعُ الحديث من المشايخ. فقَدِمَ محمدُ بن إسحاق صاحبُ المغازي الكوفة، فاجتمعنا إليه وسألناه أن يقرأ علينا كتابَ المغازي فأجابنا إلى ذلك، فتركتُ الاختلاف إلى أبـي حنيفة، وأقمتُ على محمد بن إسحاق أشهراً، حتى سمعتُ الكتابَ منه.

فلما فَرَغ منه رجعتُ إلى أبـي حنيفة، فقال لي: يا يعقوب ما هذا الجفاء؟ قلت: لم يكن ذلك، ولكن قَدِمَ محمدُ بن إسحاق المديني ها هنا، فاشتغلتُ بسماع المغازي منه. فقال لي: يا يعقوبُ إذا رجعتَ إليه فسله من كان مُقدِّمة طالوت؟ وعلى يدَيْ من كان رايةُ جالوت؟ فقلت: دعنا من هذا يا أبا حنيفة، فوالله ما أقبَحَ بالرجل يَدَّعي العلم، فيُسأل أبَدْرٌ كان قبلُ أم أُحُدٌ؟ فلا يعرفه!».

وهذا كلام لا غُبارَ عليه، إذ لا لوم على أبـي يوسف في أن ينتقي مما عند مثل محمد بن إسحاق في المغازي، ولا على أبـي حنيفة في عدم اطمئنانه إلى علم محمد بن إسحاق في المغازي، وقد تلقى أبو حنيفة المغازي من مثل الشعبـي المعترف بسعة علمه في ذلك عند مثل ابن عمر رضي الله عنهما.

وابنُ إسحاق نُسِبَ إلى غيرِ واحدةٍ من البدع، كما يقوله ابن رجب في «شرح علل الترمذي»، فلا مانع من أن يكونَ غيرَ مرضي عند أبـي حنيفة، كما أنه غيرُ مرضي عند مالك، وعلمُ المغازي عنده قلما يَستند على أصول سليمة، ومن رضِيَ بعلم ابن إسحاق في المغازي إنما رَضِيَ به بشروط معروفة، وليس في الخبر المذكور مِساسٌ بأحد الجانبين، كما لا مأخذ في سنده، لكن ما تزيَّدَهُ ابنُ خلكان نقلاً من كتاب «الجليس الصالح» للمُعافَى النَّهْرَواني الجَريري اختلاقٌ صِرْف، تُكذِّبُهُ شواهدُ الحال.

وأبو حنيفة هو الذي يُحدِّثُ أصحابَه في مسانيده، عن تفضيل عمر رضي الله عنه أصحابَ بدر فيما فَرَض لهم في الديوان على باقي أصحاب الغزوات المتأخرة، كما أنه لم يزل لسانه رطباً بتلاوة قوله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله =

. . . .

= ببدر وأنتم أذلة﴾، المعروفِ نزوله في أحد في ختماته ليلاً ونهاراً.
وهذا مما يَعلمه صغارُ أهل العلم، وهو الذي أملى على أصحابه كتابَ «السِّيَر الصغير» فرَدَّ عليه الأوزاعي، وانبرى للدفاع عن أبـي حنيفة أبو يوسف نفسه وفي كتابه المعروف، فكيف يُتصوَّرُ أن يَجهل أبو حنيفة في نظر أبـي يوسف أبَدْرٌ كانت قبلَ أُحُد أم بالعكس، مع أن ذلك ليس مما يجهله إلا بعضُ أطفال الكتاتيب؟ وكيف يظن بأبـي يوسف أن يسيء الأدب مع أستاذه الذي إجلالُه له بكل مناسبة مستفيضٌ متواتر، لما له من اليد البيضاء في تكوينه العلمي والإنفاقِ عليه مدة طلبه للعلم، وعرفانِهِ الدائم لهذا الجميل العظيم طولَ حياته؟
لكن ابن خلكان يَلَذُّه تسجيلُ ما يَنالُ من إمام الأئمة من كل مصدر تالف، مُتغاضِياً عن نقلِ ما يَمَسُّ إمـامَه، فـلا يتحاشى تـدوينَ أسطورةِ الأبـاريق الرَّصاص من حَمَّاد عَجْرَد المكشوفِ الأمر، وصَلاةِ القفال التي لا يَشُكُّ في اختلاقها سوى قلوبٍ عليها أقفالُها.
وصاحبُ «الجليس الصالح» هو الذي يَزعُمُ أن المأمون حَمَلَ الشافعيَّ على شُرب عشرين رطلاً من النبيذ، ففعل ولم يتغير عقلُه كما في «لسان الميزان»، مع أنه لم يَجتمع به في عهد خلافته أصلاً، وهو كذِبٌ بحت كهذه الأقصوصة، وليس النهروانيُّ من رجال التحري في النقل، وكتابُهُ جامعٌ بين الجِدِّ والهزل، يَتوخَّى فيه نقلَ طرائِف الحكايات، والنوادرِ المضحكات ــ ولو في أكبر إمام بأسخفِ سند، شـأنَ كتب الأدب لغير المتحـرين ــ وما رُوِيَ عن أمثـالِ محمد بن أبـي الأزهر، ومحمد بن الحسن النقاش، وابن دُرَيد، ومَعْمَر بن شَبِيب، والحسن بن علي بن زكريا البَصْرِي، وعبدِالله بن أيوب بن زاذان، وغيرِهم من المتروكين الكَذَبَة عند أهل النقد.
فإن كان النقلُ عنهم عن جهل بأحوالهم، فذلك فضيحة للناقل والمنقول عنه، وإن كان عن علم فما هو إلا قلةُ دين. هكذا يُسقِطُ نفسَه من يحاول النيل من كبار الأئمة بأكاذيب ملفقة. نسأل الله الصون (ز).

تفقَّهَ عليه عددٌ كثير، ورَوَى عنه بِشرُ بن الوليد، وابنُ سَمَاعة، ويحيى بنُ مَعِين، وعليُّ بن الجَعْد، وأحمدُ بن حنبل، وعَمْروٌ الناقدُ، وأحمدُ بن مَنِيع، وعليُّ بن مُسْلِم الطُّوْسِي، والحسَنُ بن أبي مالك، وهِلالُ الرَّأْي[1] وإبراهيمُ بن الجراح، ومُعَلَّى بنُ منصور الرازي، وأسَدُ بنُ الفرات، وعَمْرُو بنُ أبي عمرو الحَرَّاني. وأجَلُّ أصحابِهِ محمدُ بن الحسن.

وَلِيَ قضاءَ بغداد لموسى الهادي[2]، ثم وَلِيَ القضاء لهارون الرشيد. وعلا شأنُه، وهو أول من دُعِيَ قاضِيَ القضاة.

قال مكرم القاضي: ثنا عبدالصمد بن عُبَيدالله، عن علي بن حرملة التيمي، عن أبي يوسف قال: كنتُ أطلُبُ الحديثَ والفقه وأنا مُقِل، فجاء أبي[3] يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فقال: يا بُنَيَّ لا تَمُدَّنَّ رجلَك مع أبي حنيفة، فإنَّ خُبْزَهُ مَشْوِيٌّ وأنت مُحتاجٌ إلى المعاش، فآثرتُ طاعة أبي.

---

(١) على صيغة المصدر بإضافة (هلال) إليه، وعند الفصل بينهما بذكرِ الأب يتعيَّنُ كونُه على صيغة النسبة، أو على صيغة (فاعِل) بمعنى النسبة، حيث لا يجوزُ اعتبارُ الإضافةَ مع الفاصل (ز).

(٢) بل وَلِيَ القضاءَ قبلَه في عهد المهدي، كما ذكره ابنُ عبدالبر في «الانتقاء»، وقبلَه محمدُ بن خَلَف المعروفُ بوكيع القاضي في «أخبار القضاة» (ز).

(٣) وهو الصحيح، وليست أمه صاحبة الحكاية وإن ذكر الخطيب ذلك، لأنَّ في سنده محمد بن الحسن النقاش وهو كذَّاب. وحكاية الفالوذج في روايته ما هي إلا حكاية سَمَر، ولذا أشار الذهبي إلى تضعيف حكاية أمه بقوله فيما بعد «وحُكي أن أمه. . .» (ز).

فتفقَّدَني أبو حنيفة، فجعلتُ أتعاهَدُ مجلسه، فلما أتيتُ دَفَع إليّ مئة درهم، وقال لي: الزَمْ الحَلْقَة، فإذا نَفِدَتْ هذه فأعلِمْني، ثم دَفَع إليَّ بعدَ مدة يسيرة مئةً أخرى ثم كان يتعاهدني.

وحُكِيَ أنَّ أمه هي التي أنكَرتْ عليه، وأن أباه مات وهو صغير، وأنها أَسْلَمَتْه عند قَصَّار، فاللَّهُ أعلم.

٤٠ / ثناء الأئمة على أبـي يوسف

ذَكَر أسَدُ بن الفُرَات عن محمد بن الحسن قال: مَرِضَ أبو يوسف فعاده أبو حنيفة، فلما خرج قال: إن يَمُت هذا الفتى فهو أَعلَمُ من عليها، وأومأ إلى الأرض.

عباس الدُّوري سمعت أحمد بن حنبل يقول: أوَّلَ ما كتبتُ الحديث اختَلَفتُ إلى أبـي يوسف القاضي فكتبتُ عنه، ثم اختَلَفتُ بعدُ إلى الناس. قال: وكان أبو يوسف أميَلَ إلينا من أبـي حنيفة ومحمد.

إبراهيم بن أبـي داود البُرُلُّسِي: سمعتُ يحيى بن معين يقول: ما رأيتُ في أصحاب الرأي أثبَتَ في الحديث، ولا أحفَظَ ولا أصَحَّ روايةً من أبـي يوسف. وأبو حنيفة صَدُوقٌ، غيرَ أنَّ في حديثه ما في حديثِ المشايخ ـ يعني من الغَلَط[1] ـ.

---

(١) هذا التفسير من الذهبـي ينافي ما في باقي الروايات عن ابن معين، من أنه ما كان يَروي إلا ما يَحفَظُه، وقد عُرِفَ تشدُّده في الرواية، بحيث لا يُبيح للراوي أن يَروِيَ إلا ما استمرَّ على حفظه من آنِ التحمل إلى آنِ الأداء، إلا أنه كان يُجيز الروايةَ بالمعنى للحافظ الفقيه، وكان ربما يَروي في مجلسِ تفقيههِ الحديثَ مختصراً، على المعنى، أو يُرسِلُ المسنَدَ فيما هو معروفٌ لأصحابه المتفقهين عليه في مجلسه، كما هو شأنُ مجالسِ التفقيه، بخلافِ مجالسِ الرواية المجرَّدة، وليس هذا من الغَلَط في شيء (ز).

عباس الدُّوري، سمعتُ ابن معين يقول: أبو يوسف صاحبُ حديثٍ صاحبُ سنة.

محمد بن سَمَاعة، عن يحيى بن خالد قال: قَدِمَ علينا أبو يوسف وأقلُّ ما فيه الفقهُ، وقد ملأ بفقهه ما بين الخافقين.

بِشْرُ بن الوليد، سمعتُ أبا يوسف يقول: سألَني الأعمشُ عن مسألةٍ فأجبتُه عنها، فقال لي: من أين قلتَ هذا؟ قلتُ: لحديثٍ حدَّثْتَناهُ أنت. فقال: يا يعقوبُ، إني لأحفظ هذا الحديثَ قبل أن يجتمع أبواك، فما عَرفتُ تأويلَه إلا الآن.

ابنُ الثَّلْجِي، سمعتُ عبدالله بن داود الخُرَيْبِيَّ يقول: كان أبو يوسف قد اطَّلع على الفقه أو العلم اطِّلاعاً، يَتناولُهُ كيف يشاء.

عَمْرو بن محمد الناقد قال: ما أُحِبُّ أن أروِيَ عن أحدٍ من أصحاب الرأي إلا عن أبي يوسف، فإنه كان صاحبَ سنة.

٤١ يحيى بن يحيى النيسابوري، سمعتُ أبا يوسف يقولُ عند وفاته: كلُّ ما أفتيتُ به فقد رجَعتُ عنه إلا ما وافَقَ / الكتاب والسنّة[1].

---

(١) هذا شأن من يخاف الله سبحانه في دينه، لكن ليس معناه أنه يُعَدُّ راجعاً عن كل فتيا يَعُدُّها كلُّ من هَبَّ ودَبَّ مخالِفةً للكتابِ على فهمِهِ، ولصحيح الخبرِ في نظرِهِ. وكم من فَهْمٍ سقيم! وتصحيحٍ غيرِ مستقيم! والأنظارُ في هذا وذاك مختلفة.

وقولُ أبي يوسف هذا كقول الشافعي: إذا صح الحديثُ فهو مذهبي؛ لأنه ليس بمعنى أن كلَّ ما قال فيه أحدٌ: إنه حديثٌ صحيح، آخُذُ به راجعاً عما قلته من قبل، بل بمَعْنَى أن الحديث إذا صَحَّ بشَرْطه، ووَضَحَتْ دلالتُه آخُذُ به، وإلا اختلط مذهبُه.

وقد أقاموا النكير على أبي محمد الجُوَيني حيث حاول أن يؤلف كتاباً يَجمَعُ فيه مسائلَ صَحَّ الحديثُ فيها في نظره، عازياً إياها إلى الشافعي، تعويلاً منه =

حنبلٌ، سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: أبو يوسف كان منصِفاً في الحديث. قال الفَلاَّسُ: أبو يوسف صدوقٌ، كثيرُ الغلط[١].

إبراهيم بن إسحاق الزهري، ثنا بِشْر المَرِيسِي، سمعتُ أبا يوسف يقول: صَحِبتُ أبا حنيفة سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَة، ثم رَتعتُ في الدنيا سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَة، وإني أظنُّ أنَّ أجلي قد قَرُبَ. فما عَبَرَ يَسِيرٌ حتى مات.

ابنُ كأس، ثنا أحمد بن عمار بن أبي مالك، سمعتُ أبي يقول: لم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثلُ أبي يوسف عِلماً وفقهاً ومعرفة، ولولاه لم يُذكَر أبو حنيفة ولا ابنُ أبي ليلى[٢]، لكنه نَشَر عِلْمَهُمَا.

أبو خَازِم القاضي، عن بكر العَمِّي، عن هِلالِ الرَّأْيِ، قال: كان أبو يوسف يَحفظُ التفسيرَ والمغازيَ وأيامَ العرب، وكان أحَدُ علومِهِ الفقهَ.

قال المُزَنيُّ: كان أبو يوسف أتبَعَهم للحديث.

أحمدُ بن عطية، سمعتُ محمد بن سَمَاعة يقول: كان أبو يوسف يُصلِّي ـ بعدَما وَلِيَ القضاءَ ـ كلَّ يوم مِئَتَيْ ركعة.

= على هذا القول المحكيِّ عن الشافعي، وقد استبان لأهل العلم بالحديث أنه كان يُصحِّحُ أحاديثَ غيرَ صحيحة، ويَجعلُ المسائلَ المستنبطةَ منها أقوالاً للشافعي، فزجروه عن ذلك (ز).

(١) الفَلاَّسُ متعنِّت في أصحاب أبي حنيفة. وأبو يوسف ذَكَره ابنُ حبان وغيرُه بالحفظِ والإتقان (ز).

(٢) في هذا الكلام غُلُوٌّ لا يرضاه أبو يوسف نفسُه، بل لولاهما لما ارتفع لأبي يوسف شأنٌ أصلاً. وهو القائل: ما كان في الدنيا مجلسٌ أجلِسُه أحبَّ إلي من مجلِسَيْ أبي حنيفة وابن أبي ليلى، فإني ما رأيتُ فقيهاً أفقَهَ من أبي حنيفة، ولا قاضياً خيراً من ابنِ أبي ليلى. أخرجه الصَّيْمَري بسنده إليه. نعم كان تلميذاً باراً لهما، فبارَكَ اللّـهُ في علمه (ز).

عباسٌ، سمعتُ يحيى بن معين يقول: كان أبو يوسف يُحِبُّ أصحابَ الحديث، ويَميلُ إليهم.

عبدُالله بن علي المديني، سمعتُ أبي يقول: كنا نأتي أبا يوسف لما قَدِمَ البصرة / سنة ثمانين ومئة، فكان يُحدِّثُ بعشَرَةِ أحاديث وعَشَرَةِ رَأْي[١]، وأراهُ قال: ما أجِدُ على أبي يوسف إلا حديثَهُ عن هشام بن عروة في الحَجْر[٢]، وكان صدوقاً. ٤٢

ومن شمائله

الطَّحَاويُّ، نا بَكَّار بن قتيبة، سمعتُ أبا الوليد الطَّيَالِسِيَّ يقول: لما قَدِمَ أبو يوسف البصرةَ مع الرشيد، اجتَمَع أصحابُ الرَّأْي وأصحابُ الحديث على بابه، فطَلَب كلُّ فريق منهم الدخول إليه أولاً، فأشرَفَ عليهم فلم يأذن لفريق منهم وقال: أنَا من الفريقين جميعاً، ولا أُقدِّمُ فِرقةً على فِرقة، ولكني أسألُ الفريقينِ عن مسألة، فأيُّهم أصابوا دَخَلوا.

ثم قال: رجلٌ مَضَغ خاتمي هذا حتى هشمه، ما لِيَ عليه؟ فاختَلَف أصحابُ الحديث، فلم يُعجبه قولُهم، وقال فقيه: عليه قيمتُهُ مصوغاً، ويأخذُ الفِضَّةَ المهشومةَ إلا أن يشاء رَبُّ الخاتم أن يُمسِكَه لنفسه، ولا شيءَ على هاشِمه.

فقال أبو يوسف: يَدخُلُ أصحابُ هذا القول، ودخلتُ معهم، فسأله المستملِي، فأملَى حديثاً عن الحسن بن صالح وقال: ما أخافُ

---

(١) هكذا في الأصل، والأظهَرُ (عَشَرَةِ آراء)، ولعل وُرودَ ذلك بصيغة الإفراد هنا، من جهة أنه مصدر يستوي فيه المثنَّى والمجموعُ (ز).

(٢) بل لهُ متابع، راجع «التلخيص الحبير» ٢٤٩، و«سنن البيهقي» ٦: ٦١ (ز).

على رجلٍ من شيءٍ خوفي عليه من كلامِهِ في الحسن بن صالح، فوقع لي أنــه أراد شعبــةَ، فقمتُ وقلتُ: لا أجلِسُ في مجلسٍ يُعــرَّضُ فيـه بأبــي بِسْطام[1].

ثم خرجتُ، فرجعَتْ إليَّ نفسي، فقلتُ: هذا قاضِي الآفاق، ووزيرُ أميرِ المؤمنين، وزميلُه في حَجِّهِ، وما يَضُرُّه غَضَبـي! فرجعتُ فجلستُ حتى فَرَغ المجلسُ، فأقبل عليَّ إقبالَ رجل ما كان له هَمٌّ غيري، فقال: يا هشام ــ وإذا هو يَعنيني لأني كنتُ عنده ببغداد ــ: واللّـهِ ما أردتُّ بأبــي بِسْطام سُوءاً، ولَهُوَ في قلبـي أكبَرُ منه في قلبك فيما أَرى، ولكن لا أعلَمُ أني رأيتُ رجلاً مثلَ الحسَنِ بن صالح.

قال بكّار: فذكرتُ هذا لهِلال بنِ يحيـى[2]، فقال: أنا واللّـهِ الذي أجبتُ / أبا يوسف عن الخاتم. ٤٣

ابنُ الثلجي، سمعتُ الحسن بن أبــي مــالـك، يقــول: قــال أبو يوسف: لو استطعتُ أن أشاطِركم ما في قلبـي من العلم لفعلتُ.

وسمعتُهُ يقول: مَرِضتُ مرضاً نَسِيتُ فيه كلَّ ما كنتُ أحفظُه، حتى القرآن! ولم أنسَ الفقهَ، لأنَّ عِلمي بما سوى الفقه عِلمُ حفظ، وعِلمي بالفقهِ عِلمُ هداية، كرجلٍ غاب عن بلده مدة، ثم قَدِمَ أفتَراه يغيبُ عن طريقِ منزله؟.

عن هلالِ الرَّأْيِ، سمعتُ أبا يوسف يقول: مُخاشَنَةُ الولاة ذُلٌّ، ومُخاشَنَةُ القُضاةِ فَقْر.

---

(١) هو شعبة.

(٢) هو: هِلالُ الرَّأْيِ.

وسمعتُهُ يقول في كتاب الصَّكِّ ــ يعني الأَسْجال ــ ونحوِهِ: لا أقلَّ من عَشَرَة شهود، اثنانِ يموتان، واثنانِ يَغِيبان، واثنانِ لا يُـؤدِّيان، واثنانِ يَثْبُتان، واثنانِ يُزَوِّران.

محمـد بن شجـاع، سمعتُ الحسن بن أبـي مـالـك، سمعتُ أبا يوسف يقول: القرآنُ كلامُ الله، ومن قال: كيفَ ولِمَ؟ وتعاطَى مِراءً ومُجادلةً، استَوجَبَ الحَبْسَ والضربَ المُبرِّحَ.

وسمعتُه يقول: لا يُفلِح من استَحلَى شيئاً من الكلام.

وسمعتُه يقول: لا يُصلَّى خَلْفَ من قال: القرآنُ مخلوق.

إبراهيمُ بن الجراح، سمعتُ أبا يوسف يقول: كان أبـو العباس ــ يعني السفَّاحَ ــ قد أَشخَص العلماءَ، فكنا نَسمعُ تلك الأيام.

عليُّ بن الجَعْد، سمعتُ أبا يوسف يقول: من قال: إيمانِي كإيمانِ جبريل، فهو صاحبُ بِدعة.

أحمدُ بنُ أبـي عِمران الفقيه، حدَّثني فَرَجُ مولى أبـي يـوسف، قال: رأيتُ مولاي أبا يوسف إذا دَخَل في القنوت للوتر رَفَع يديه في الدعاء، إن كان فَرَجُ ثقةً(١).

أبو خَازِم القاضي: ثنا الحسن بن موسى قاضي هَمَذان، ثنا بِشْرُ بن الوليد، قال: كان أبو يوسف:

---

(١) وعند ابن أبـي العوام قال لنا ابنُ أبـي عِمران: لم يُحدِّثنا بهذا عن أبـي يوسف غيرُ فَرَج، وكان ثقة. فلعله «وكان فَرَجُ ثقة» (أبو الوفاء). قلتُ: ومثلُه في «الجواهر المضية» ٢: ٦٩٠ (ز).

إذا ذَكَر محمدَ بن الحسن قال: أيُّ سيفٍ هو؟ غيرَ أنَّ فيه صَدَأً، وهو يَحتاجُ إلى جِلاء.

وإذا ذَكَر الحسَنَ بن زياد قال: هو عندي كالصَّيْدَلاني، إذا سأله رجلٌ أن يُعطِيَهُ ما يُطلِقُ بطنَه، أعطاه ما يُمسِكُه.

وإذا ذَكَر بِشْراً يقول: هو كإبرة الرَّفَّاءِ، طَرَفُها دقيق، وهي سريعةُ الانكسار.

٤٤ وإذا ذَكَر الحسنَ بنَ أبـي مالك قال: هو كجَمَلٍ حَمَل حِمْلًا / في يومٍ مَطِير، فَيذهَبُ مرةً هكذا ومرةً هكذا ثم يَسْلَمُ.

الطحاويُّ، ثنا ابن أبـي عِمران، ثنا محمد بن سَمَاعة، عن أبـي يوسف قال: قَدِمَ علينا رَبيعةُ بن أبـي عبدالرحمن[١]، فأتيتُه فقلت: ما تقول في عبدٍ بين رجلين، أعتَقَه أحدُهما؟ فقال: العِتقُ باطل. قلتُ: فإن أعتَقَ الآخَرُ ينبغي على قولك أن يكون أيضاً باطلًا! فإذا كان عِتْقُ مَوْلَيَيْهِ لا يَجُوزُ، فمن يَجُوزُ عتقه فيه!

أبو بكر الخَصَّاف، حدثني أبـي، ثنا الحسن بن زياد قال: كنا يوماً بباب أبـي يوسف إذْ أقبَلَ من دار الرشيد يبتسِمُ، فقال: حَدَثَتْ مسألةٌ في دار أمير المؤمنين، وهي أنَّ قاضياً بإِرْمِينِيَة اختَصَم إليه جاريتان في جَرَّتينِ، وقد استَقَتَا ماءً، فوضَعَتَا الجَرَّتينِ لتستريحَا، فسَقَطَتْ جَرَّةٌ على الأخرى فانكسَرَتا، فاختَصَمَتا إلى القاضي، فقالت كلُّ واحدة منهما: سَقَطَتْ جَرَّةُ هذه على جَرَّتي وكسَرَتْها.

---

(١) هذا شيخُ مالك في الفقه، لكن من الصعب المقاومةُ لمُناظرةِ أبـي يوسف في المسائل، ولذا كان يأبَـى مالكُ مناظرتَه في مجلس الرشيد، كما في «كشف المغطَّى» لابن عساكر (ز).

فجعَلَ القاضي يَنظُرُ إليهما لا يَعرِفُ المدَّعِيَ منهما من المدَّعَى عليه، فقال للقيِّم: أخِّرْهما! ثم صاحَتَا وَاوَيْحَتَا! فقال للقيم: اذهَبْ فاشترِ لهما جَرَّتينِ، وأَرْضِ كلًا منهما. فلما كان العَشِيُّ قال لرجل كان يَأْنَسُ به: ماذا يقولُ الناسَ ويَخُوضون فيه من أمرِنا؟ قال يقولون: إنَّ القاضِيَ لم يُحسِن أن يَحكُمَ في جَرَّتينِ حتى غَرِمَهُمَا! فقال: سبحان الله! أفلا يَرْضَوْن مني أن أحكم فيما أُحْسِن، وأَغرَمُ فيما لا أُحْسِن؟!

قال أبو يوسف: فقلتُ يا أمير المؤمنين، هذا رجلٌ عاقل، فزِدْ في أرزاقِه للغراماتِ ألفَ درهم في كل شهر.

فقلنا لأبـي يوسف: كيف جوابُ هذه المسألة؟ قال:

إن كانتا وَضَعَتَا الجرَّتَينِ في مُستَراحٍ للمسلمين، فكلُّ واحدةٍ منهما جاعلةٌ جرَّتَها في حَقِّها، غيرَ جانية على صاحبتها، وعلى كلِّ واحدةٍ منهما قيمةُ جَرَّةِ صاحِبَتِها.

وإن كانت إحداهما في مُستراح، والأُخرى في غيرِ مستراح، فالتي في غيرِ المستراح جانيةٌ على صاحبتها.

بِشْرُ بن الوليد، سمعتُ أبا يوسف يقول: من طَلَب المالَ بالكيمياءِ أفلَس، ومن طَلَب العلمَ بالكلام تَزَنْدَق، ومن طَلَب غريبَ الحديثِ كَذَب.

/ محمد بن سعد، إني سمعتُ أبا سليمان الجُوزَجَاني، سمعتُ أبا يوسف يقول: دخلتُ على الرشيد وفي يدِهِ دُرَّتانِ يُقَلِّبُهما، فقال: يا يعقوبُ، هل رأيتَ أحسَنَ من هاتينِ؟ قلت: نعم. قال: وما هو؟ قلتُ: الوِعاءُ الذي هُمَا فيه. قال: فرَمَى بهما إليّ وقالَ: شأنَك بهما. فأخذتُهما وقُمتُ. ٤٥

الطحاويُّ: نا ابن أبـي عِمران، نـا محمد بن شُجَـاع، سمعتُ الحسَنَ بنَ أبـي مالك، سمعتُ أبـا يوسف في مَـرَضِه يقـول: واللّـهِ ما زنيتُ قط، ولا جُرْتُ في حكم، ولا أخافُ من شيء إلا من شيء كان مني: كنتُ آخُذُ القِصَصَ فأقرؤها على الرشيد، ثم أُوَقِّعُ لأصحابها بحضرته.

فأخذتُ قصةً لنصرانيٍّ في ضَيْعةٍ بيد الرشيد، يَزعُمُ أنه غَصَبه إياها، فدَعوتُ النصرانيَّ وقرأتُ قِصَّتَهُ على الرشيد، فقال: هذه الضيعةُ لنا، وَرِثناها عن المنصور. فقلتُ للنصراني: قد سمعتَ، أفلَكَ بيِّنةٌ؟ قال: لا، ولكنْ حَلِّفْهُ. فقلتُ: الحَلِفَ يا أمير المؤمنين، قال: نَعَمْ، فحَلَفَ وذَهَبَ النصراني، فأخافُ من تَرْكِي أن أُقعِدَ النصرانيَّ مع أمير المؤمنين مجلِسَ الخَصْم.

عليُّ بن الجعد، سمعتُ أبا يوسف وسأله رجل، فقال: يَذْكُرون تُجِيزُ شهادةَ من يقول: إنَّ الله لا يَعلَمُ ما يكونُ حتى يكون؟ قـال: ويحَك! هذا إن تاب وإلا قتَلتُه.

بشرُ بن الوليد، سمعتُ أبا يوسف يقول في مَرَضِه: اللهم إنك تعلم أني لم أطأ فرجاً حراماً، وأني لم آكل درهماً حراماً وأنا أعلم.

ابنُ كأس: ثنا أبو عَمْرو القَزْوِيني، ثنا القاسم بن الحَكَم العربـي، سمعتُ أبا يوسف عند موته يقول: ليتني مِتُّ على ما كنتُ عليه من الفقه، وإني واللّـهِ دَخلتُ في القضاءِ ولم أتعمَّد جَوْراً، ولا رَفعتُ خَصْماً على خَصم من سلطانٍ ولا سُوْقَة.

الطحاوي، ثنا أحمد بن أبـي عِمران، ثنا داود بن وهب، حدثني عبدالرحمن القَوَّاس ــ وقيل لم يكن ببغداد أفضَلُ منه ــ قال: قال لي معروفُ الكَرْخِي: إن تُوفِّيَ أبو يوسف فأعلِمْني، فمَضيتُ، فإذا أنا بجنازةِ أبـي يوسف، فمضيتُ معها وقلتُ: إن رَجعتُ إلى معروفٍ فاتَتْنِي الجنازةُ ولم يُدركها هو.

فلما انصرفتُ أتيتُهُ وقلتُ: لو رجعَتُ إليك لم تدركها، فاغتَمَّ! فقلتُ: ما يَغُمُّك؟ قال: إني / رأيتُ في ليلتي هذه، كأني أُدخِلتُ الجنة، فرأيتُ قصراً فقلت: لمن هذا؟ قال: ليعقوبِ القاضي. قلتُ: بأيِّ شيء استحقَّ هذا؟ قال: بتعليمه العِلمَ، وبكثرةِ وقيعةِ الناس فيه. ٤٦

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعتُ أبـي يقول: كان في أبـي يوسف رحمه الله لثغة[1]، فكان يحدثنا فيقول: ثنا مطيف بن طيف الحايثي، أي مُطرِّف بنُ طَرِيف الحارِثي.

قال أبو حسان الزيادي: كان أبو يوسف قاضيَ الرشيد، فاستَخلَفَ ولدَهُ يوسف، وكان يقضِي معه، فلما مات أبو يوسف أقرَّ الرشيدُ ابنَه على القضاء إلى أن مات يوسف.

الحسن بن حماد سَجَّادة، سمعتُ يوسفَ بن أبـي يوسف يقول: وَلِيتُ القضاء، ووَلِيَ أبـي من قبلي، فكانت وِلايتُنا للقضاءِ ثلاثين سنة، ما بالَيْنَا أن نقضِيَ بين جَدٍّ وأخ.

---

(١) ومثلُ هذه اللثغة مما لا يَصبِرُ عليه مثلُ الرشيد، فشواهدُ الحال تَدلُّ على عدم صحة هذا الخبر، على أنَّ الراوي عن عبدالله حَشوي هالك (ز).

قال ابنُ عدي وذَكَر أبا يوسف فقال: لا بأس به. وقال أبو حاتم الرازي: يُكتَبُ حديثُه[١]. وقال أبو عبدالله البخاري: تركوه[٢]. وقال أبو حفص الفَلَّاس: صدوقٌ، كثيرُ الغلط.

قلتُ: ولقاضي القضاة أبـي يوسف رحمه الله ورضِيَ عنه أخبارٌ في السُّؤدَد والكَرَم والمُروءة والجـاهِ العريض والحُـرمةِ التـامةِ في العلم والفضـل، وأخبارٌ في الحطِّ عليـه، بعضُها ليس بصحيـح، أوردهـا العُقَيْليُّ[٣] وابنُ ثابت في / «تاريخ بغداد» وغيرُهما. ٤٧

---

(١) ذكره ببالغ الحفظ ابنُ الجوزي في «أخبار الحفاظ» ص ٨٧، في عِدادِ المِئة الأفذاذِ من هذه الأمة، المعروفين بقوةِ الحفظ للغاية، حيث كان يُملي نحوَ ستين حديثاً بأسانيده على الرواة بسماع واحد. وقَبْلَهُ ابنُ عبـدالبر، وقَبْلَهُ ابنُ حِبان، وقَبْلَهُ ابنُ جرير، حيث قال في «ذيل المذيل»: كان يُعرَفُ بحفظِ الحديث، وكان يَحضُر المحدِّثَ فيحفظ خمسين وستين حديثاً ــ يعني بسماع واحد ــ ثم يقومُ فيُمليها على الناس، وكان كثيرَ الحديث. وقال أحمدُ بن كامل الشجري في «تاريخ القضاة»: لم يَختلف يحيـى بنُ معين وأحمدُ بن حنبل وعليُّ بن المديني في ثقتِهِ في النقل (ز).

(٢) قال ابن أبـي حاتم في «الجرح والتعديـل» عن البخاري: تـركه أبـو زرعة وأبو حاتم. قلت: وهذه كلمة كبيرة في شيخ الحفاظ، كما أن كلمة البخاري في أبـي يوسف الإمام المجتهد الحافظ المتقن خارجةٌ عن حد الإنصاف. ولعل كلمة ابن أبـي حاتم في البخاري ثأر معنوي من الله لأبـي يوسف، وإلا فلا هذا بمتروك ولا ذاك (ز).

(٣) هذا حشوي مجازف، لم يَدع أبا حنيفة ولا أحداً من أصحابه من غير أن يَنهشَ أديمه، ولم يَذكر لواحدٍ منهم مَنْقَبةً واحدة، وقد سَوَّد صفحاتِ تـراجمهم بما يدل على ضغينتِهِ نحوَ أهل الحق. وقد كَفَى مَـؤُنةَ الرد عليـه راوِيَتُهُ=

قال علي بن سَلَمة اللَّبَقي: سمعتُ يحيى بن يحيى يقول: دخلنا على أبي يوسف وهو مريضٌ بجُرْجَان، فقال: اشهدوا أني قد رَجعتُ عن كلِّ ما أفتيتُ به الناسَ إلا ما في القرآن، واجتَمَع عليه المسلمون[1].

= ابنُ الدَّخيل الصَّيدلاني في «جزء» خاص، ألَّفه في مناقب أبي حنيفة. وقد سَمِعَه منه الحكَمُ بنُ المنذر، ومنه سَمِعَه صاحبُه ابنُ عبدالبر. وقد دوَّن ابنُ عبدالبر غالبَ ما في هذا الجزء في «الانتقاء في أخبار الأئمةَ الثلاثة الفقهاء»، فكفَى وشَفى.

وقد قال الذهبي في «الميزان»، في ترجمة علي بن المديني، بعد أنْ ذَكَر رجالاً طَعَن فيهم العُقَيليُّ هذا: «ولو تُرِكَ حديثُ هؤلاء لغلَّقنا الباب، وانقطع الخطاب، ولماتَتْ الآثار، واستولَتْ الزنادقةُ، ولَخرَجَ الدجَّال! فما لك عَقْلٌ يا عُقَيلي! أتدري فيمن تتكلم؟... كأنك لا تدري أنَّ كلَّ واحد من هؤلاء أوثَقُ منك بطبقات».

وأما ابنُ ثابت ــ وهو الخطيبُ البغدادي صاحبُ «تاريخ بغداد» ــ فقد آذى نفسه بما صَنع، وقد كشفتُ الستارَ عن منحاه في «تأنيب الخطيب»، وله دسائسُ غريبة في وَصْم أصحابنا، بأسانيدَ في رجالها الكذَّابون حتى في نظره، كما فَعَل في ترجمة أبي يوسف كأنه تحيَّلَ في إباحةِ جارية للرشيد بصورة يأباها أهلُ الدين وبتزيدٍ مفضوح، مع أنَّ في سندِ هذه الحكاية عنده محمدَ بن أبي الأزهر، وهو القائلُ فيه: «كان كذَّاباً قبيحَ الكذب». فتبًّا لمن يَستدلُّ بحكاية من يكون كذاباً قبيحَ الكذب حتى في نظره نفسِهِ، في جَرْح إمامٍ عظيم مثلِ أبي يوسف! (ز).

(١) هذه الحكاية مختلَقَةٌ ومعها ما يَدلُّ على الاختلاق:

لأنه ليس من مذهبه قَصْرُ الحجة على القرآن والإجماع، بل هو ممن يأخذُ بالسنة على أنواعها وبالقياس.

ولأنه اتفق أهلُ العلم بالتاريخ على أنه توفي في بغداد لا في جُرجان.

ولأنه رَوَى بعضُ أصحابه في مرض موتِهِ مسائلَ عنه، أدِلَّتها ليست مقصورةً على الكتاب والإجماع.

=

قال بشر بن الوليد: تُوفِّي أبو يوسف رحمه الله يومَ الخميس، لخمسٍ خَلَوْنَ من ربيعٍ الأول سنةَ اثنتين وثمانين ومئة.

وقال غيرُه: في ربيعٍ الآخِر ببغداد، وله تسع وستون سنة[1].

يعقوب بن شيبة، سمعتُ شجاعَ بن مَخْلَد يقول: حَضَرْنا جنازةَ أبي يوسف، فقال عَبَّادُ بن العَوَّام: ينبغي لأهل الإسلام أن يُعزِّيَ بعضُهم بعضاً بأبي يوسف.

ومن حديثِهِ ما أخبرنا به أحمد بن إسحاق الأبَرْقُوْهِي سنةَ خَمْسٍ / وتسعين وست مئة، أنا المبارك بن أبي الجُود، أنا أحمد بن الطَّلَّاية، أنا أبو القاسم الأنماطي، أنا أبو طاهر المُخَلِّص، ثنا أبو حامد الحضرمي، ثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، أنا أبو يوسف، نا أبو حنيفة، ٤٨

= ولأن في سندها أحمدَ بن حفص الجُرجاني، وهو صاحب مناكير، على أنه ليس بين أئمة الدين من يُفتي مع الجهل بما في القرآن وبمواطن الإجماع، أو يفتي على خلافهما، مع العلم بمخالفةِ فتياه لهما حتى يُتَصوَّرَ مثلُ هذا الرجوع.

ولفظُ الخطيب يخالف ما ها هنا، مع كونه بطريق أحمد بن حفص عن اللَّبَقي.

ولفظُ يحيى بن يحيى في رواية الخطيب «سمعتُ أبا يوسف القاضي عند وفاته يقول: كلُّ ما أفتيتُ به فقد رجعتُ عنه، إلا ما وافَقَ كتابَ الله وسنةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ومَنْ مِنَ الفقهاءِ من لا يُبادرُ بالرجوع عن الفتيا ــ في جميع أدوار حياتِهِ ــ إذا عَلِمَ أنه خالف الكتابَ أو السنة سهواً في فتياه؟ (ز).

(١) هذا على المشهور في ميلاده، وأما على ما قاله أبو القاسم السِّمْنَاني. وابن فَضْلِ الله العُمَري، فكانت وفاته وهو ابنُ تسعٍ وثمانين سنة. والله أعلم (ز).

عن علقمة بن مَرْثَد، عن سليمان بن بُرَيْدة، عن أبيه: أنَّ قومَ ماعزٍ سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في دفنِهِ والصلاةِ عليه فأذن لهم.

أخبرنا عبدالعزيز بن محمد بن هبة الله العقيلي الحنفي، أنا يوسف بن خليل، أنا عبدالخالق بن الصابوني، وعبدُالرحمن بن نصرالله البَيِّع، قالا: أنا قَرَاتكِينُ بنُ أسعد، أنا أبو محمد الجوهري، أنا القاضي أبو بكر الأَبْهَرِي، ثنا أبو عَرُوبة الحَرَّاني، ثنا جَدِّي عَمْرُو بن أبـي عَمْرو، ثنا أبو يوسف يعقوبُ بن إبراهيم، ثنا عُبَيْدُالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: لَوْ مَا وَجدتُ إلا مُدّاً لاغتَسَلْتُ.

وبالإسناد، ثنا أبو يوسف، ثنا أبو حنيفة، عن عطاء بن أبـي رباح، عن ابن عباس، أنه قال: لا وُضوءَ في القُبْلَة.

أخبرنا أبو الغنائم بن عَلَّان، والمؤمَّلُ بن محمد، ويوسف بن يعقوب كتابةً قالوا: أنا زيدُ بن الحسن المُقرىء، أنبأ عبدالرحمن بن رُزَيْق الشيباني، أنا أحمد بن علي الحافظ، أنا أبو عُمَر بن مَهْدِي، ثنا محمد بن مخلد، ثنا عَبْدُوسُ بن بِشْر الرازي، ثنا أبو يوسف القاضي، ثنا أبو حنيفة، عن نافع عن ابن عمر، عن النبـي صلى الله عليه وسلم قال: «من أتَى الجمعةَ فليَغْتَسِل».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالرحمن، أنا أبو القاسم بن صَصْرَى، أنا علي بن سُرور الخَشَّاب، أنا الحسن بن أحمد بن محمد بن أبـي الحديد سنةَ ثمانين وأربع مئة، أنا المسدَّدُ بن علي الأَمْلُوكي، ثنا إسماعيل بن القاسم الحَلَبِـيُّ بحمص سنة سبعين وثلاث مئة، ثنا يحيـى بن علي بن هاشم الكِنْدي، ثنا جَدِّي لأمي وهو محمدُ بنُ إبراهيم بن أبـي سُكَيْنَة

الحلبي، ثنا أبو يوسف، عن إسماعيل بن أبـي خالد، عن قيس، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجلٍ آتاه اللَّـهُ مالاً فسلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحق، ورجلٍ آتاه الله علماً فعلَّمه وقَضَى به».

والحمدُ لله رب العالمين.

* * *



للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

ولد سنة ٦٧٣ وتوفي سنة ٧٤٨ رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠

الحمدُ لله رب العالمين. وصلَّى الله على سيدنا محمد وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

هذه ترجمةِ الإمام محمد بن الحسن الشيباني: هو محمدُ بنُ الحسن بن فَرْقَد الشيباني مولاهم. وقيل: محمدُ بن الحسن بن عبيدالله بن مروان[1]. كان والدُهُ من أهل حَرَسْتا ـ قريةٍ مشهورةٍ بظاهِر دمشق ـ، فقَدِمَ العراقَ في آخر بني أمية، فوُلِدَ له محمدٌ بواسِط، سنةَ اثنتين وثلاثين ومئة.

فحمَلَهُ إلى الكوفة فنَشَأ بها، وكتَبَ شيئاً من العلم عن أبي حنيفة، ثم لازَمَ أبا يوسف من بعدِهِ حتى بَرَع في الفقه.

وسَمِعَ أيضاً من مِسْعَرِ بن كِدَام، ومالكِ بن مِغْوَل، وعُمَرَ بنِ ذَرّ الهَمْدَاني، وسفيانَ الثوري، والأوزاعيِّ، ومالكِ بن أنس، ولازَمَ مالكاً مُدَّةً.

وانتهَتْ إليه رياسةُ الفقهِ بالعراق بعدَ أبي يوسف.

---

(١) لا تعويل على هذا، ولذا أتَى بصيغة التمريض في أوله، وإنما اختلفوا في كونه صَلِيباً في بني شيبان أم غيرَ صَلِيب. وقال عبدالقاهر البغدادي: إنه شيباني النَّسَب (ز).

وتفقَّه به أئمة[١].

وصَنَّفَ التصانيف، وكان من أذكياءِ العالم.

وَلِي قضاءَ القُضاة للرشيد، ونال من الجاه والحِشمة ما لا مزيدَ عليه.

رَوَى عنه الشافعي، وأبو عُبَيد القاسم بن سَلَّام، وهشامُ بن عُبَيدالله الرازي، وعليُّ بن مسلم الطُّوسي، وعَمْرُو بن أبـي عمرو، ويحيـى بنُ معين، ومحمدُ بن سَمَاعة، ويحيـى بنُ صالح الوُحَاظِي، وآخرون.

قال محمد بن سعد: أصلُهُ من الجزيرة، وسكن أبوه الشام، ثم قدِمَ واسطَ، فوُلِدَ له محمدٌ بواسط. وسَمِعَ كثيراً، ونَظَر في الرأي، فغَلَب عليه، نَزَل بغداد، واختَلَف إليه الناسُ، وسمعوا منه.

أحمد بن عطية، سمعتُ أبا عُبَيد يقول: ما رأيتُ أعلَمَ بكتاب الله من محمد / بن الحسن. ٥١

الربيعُ بن سليمان، سمعتُ الشافعي يقول: لو أشاء أن أقول: نَزَل القرآنُ بلغة محمد بن الحسن لقلتُهُ لفصاحتِه.

أبو بكر بن المنذر، سمعتُ المُزَنِيَّ يقول: سمعتُ الشافعي يقول: ما رأيتُ سميناً أخفَّ رُوحاً من محمدِ بن الحسن، وما رأيتُ أفصحَ منه، كنتُ إذا رأيتُه يقرأ كأنَّ القرآن نَزَل بلغته.

إسماعيل بن حَمَّاد بن أبـي حنيفة، قال: قال محمد بن الحسن: بَلَغني أن داود الطائيَّ كان يَسألُ عني وعن حالي، فإذا أُخبِرَ قال: إن عاش فسيكونُ له شأن.

---

(١) مثلُ الشافعيِّ، وأبـي عبيد، وأسدِ بن الفرات، رحمهم الله (ز).

إدريس بن يوسف القَرَاطِيسي، سمعتُ الشافعي يقول: ما رأيتُ أعلمَ بكتاب الله من محمد، كأنه عليه نَزَل.

الطحاويُّ، سمعتُ أحمد بن أبـي دَاوُدَ المكي، سمعتُ حَرْمَلَة بنَ يحيـى، سمعت الشافعي يقول: ما سمعتُ أحداً قطُّ كان إذا تكلَّمَ رأيتَ أنَّ القرآنَ نَزَل بلغتِهِ غيرَ محمـدِ بن الحسن، وقد كتبتُ عنـه حِمْل بُخْتِي[1].

محمد بن إسماعيل الرَّقِّي، نا الربيع، نا الشافعي، قال: حَمَلتُ عن محمد بن الحسن حِمْلَ بُختيٍّ كُتُباً، وما ناظرتُ أحداً إلا تغيَّر وجهُهُ ما خلا محمدَ بن الحسن.

ابنُ أبـي حاتم، نا الربيع، سمعتُ الشافعي يقول: حمَلتُ عن محمد بن الحسن حِمْلَ بُخْتى، ليس عليه إلا سَمَاعِي.

أحمد بن أبـي سُرَيج الرازي، سمعتُ الشافعي يقول: أنفقتُ على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً، ثم تدبَّرتُها، فوضعتُ إلى جنبِ كلِّ مسألةٍ حديثاً.

وعن الشافعي قال: ما ناظرتُ سَمِيناً أذكَى من محمد بن الحسن، وقد ناظرتُه مرةً فجعلَتْ أوداجُهُ تنتفخ، وأزرارُهُ تنقطع.

عباسُ بن محمد، سمعتُ ابنَ معين يقول: كتبتُ عن محمد بن الحسن «الجامع الصغير».

أبو خازِم القاضي، نا بكر العَمِّي، سمعت محمد بن سَمَاعة يقول:

---

(١) البُخْتِيُّ: الجَمَلُ.

كان محمدُ بن الحسن قد انقطع قلبُهُ من فكره في الفقه، حتى كان الرجلُ يُسلِّمُ عليه، فيدعو له محمد، فيزيدُهُ الرجلُ في السلام، فيَرُدُّ عليه ذلك الدعاء بعينه الذي ليس من جواب الزيارة في شيء.

الطحاوي، نا محمد بن شاذان، سمعتُ الأخفش النحويَّ يقول: ما وُضِعَ شيءٌ لشيءٍ قطُّ يُوافِقُ ذلك إلا كتابَ محمدِ بن الحسن في الأَيمان، فإنه وافَقَ كلامَ الناس.

٥٢ محمد / بن سَمَاعة، قال: كان محمدُ بن الحسن كثيراً ما يتمثَّلُ بهذا البيت:

محسَّدُون[١] وشَرُّ الناسِ منزلـةً   من عاشَ في الناس يوماً غيرَ مَحْسُودِ

يونس بن عبدالأعلى، سمعتُ الشافعي يقول:

قلتُ لمحمد بن الحسن تقول: ما كان لصاحِبِك أن يَتكلَّم، ولا لصاحِبي أن يَسكُت[٢].

أَنشُدُك بالله: هل تَعلمُ أنَّ صاحبي كان عالماً بكتاب الله؟ قال: نعم. قلتُ: فهل كان عالماً بحديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. قلتُ: فهل كان عاقلاً؟ قال: نعم.

---

(١) وعند الموفق ٢ :١١: هم يَحسُدوني (أبو الوفاء). لكن عند ابن أبي العوام كما هنا (ز).

(٢) ولفظه في رواية الهروي في «ذم الكلام»: «قد رأيتُ مالكاً وسألتُه عن أشياء، فما كان يحل له أن يفتي...» (ز).

قلتُ: فهل كان صاحبُك جاهلاً بكتاب الله؟ قال: نعم، وبما جاء عن رسول الله؟ قال: نعم[١]. قلت: أفكان عاقلاً؟ قال: نعم.

---

(١) هذا مما تزيَّدَه الخطيبُ ولم ينتبه إليه الذهبي، فنقَلَه على لفظ الخطيب، والدليلُ على ذلك أن شواهد الحال تكذبه، لأنَّ أبا حنيفة لو كان جاهلاً في نظر محمد بن الحسن، لما أفنَى محمدٌ عمرَه في دراسة فقهه وتدوينه ونشرِهِ في الآفاق، وأنَّ الخطيبَ ساق هذا الخبرَ بطريق يونس بن عبدالأعلى.
ولفظُهُ عند ابن عبدالبر في الانتقاء ص ٢٤، من رواية محمد بن الربيع ومحمدِ بن سفيان عنه، قال: قال لي الشافعي: ذاكرتُ محمدَ بن الحسن يوماً، فدار بيني وبينه كلامٌ واختلاف، حتى جعلتُ أنظر إلى أوداجه تَدرُّ وتنقطِعُ أزرارُه، فكان فيما قلتُ له يومئذ: نَشَدتُك باللّـهِ هل تعلم أن صاحبنا، يعني مالكاً، كان عالماً بكتاب الله؟ قال: اللهم نعم. قلتُ: وعالماً باختلاف أصحاب رسول الله؟ قال: اللهم نعم. هنا انتهى لفظ الرواية عند ابن عبدالبر.
وأين هذا من لفظ الخطيب؟ مع أنهما مسوقانِ بطريق يونس بن عبدالأعلى، وليس في لفظ ابن عبدالبر وصفُ أبي حنيفة بجهل الكتاب والسنة، فيكون وصفُهُ بهما من كيس الخطيب.
ثم خَتَم الخطيبُ الرواية بقوله: «أو كلاماً هذا معناه»، ليتسنى له أن يقول عند فضح دسيسه باللفظ المحفوظِ عن يونس: إني ما ادَّعيتُ أن هذا لفظُ يونس، بل قلتُ: إنَّ هذا معنى كلام يونس. فانظر إلى هذه الخيانة المكشوفة من الخطيب!
وفي الحكاية اضطرابٌ عظيم على اختلاف رواتها، فدونك لفظَ ابن عبدالبر في «الانتقاء»، ولفظَ أبي إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء، ولفظَ الهَرَويِّ المجسِّم في ذم الكلام، ولفظَ ابن الجوزي في «مناقب أحمد»، ولفظَ الخطيب المنقول هنا، تجدُها في غايةِ الاضطراب لفظاً ومعنى، كما توسَّعْتُ في بيان ذلك بعضَ توسع في تأنيب الخطيب ص ١٨١ ـ ١٨٣. ولو كان رأيُ محمد في أبي حنيفة كما يريد أن يصوره الخطيب، لما أفنَى محمدُ بنُ الحسن عمرَهُ في فقه أبي حنيفة، ولا سَلَك في كتابه «الحُجَّة على أهل المدينة» هذا المسلكَ المشهود (ز).

قلتُ: لصاحبي ثلاثُ خصال، لا يَستقِيمُ لأحدٍ أن يكون قاضياً إلا بهن، أو كلاماً هذا معناه.

٥٣ / إبراهيم بن أبي داود البُرُلُّسِي، سمعتُ يحيى بنَ صالح الوُحَاظي يقول: حَجَجْتُ مع محمد بن الحسن، فقلت له: حدِّثْني بكتابك في كذا من الفقه، فقال ما أنشَطُ له، فقلتُ: أنا أقرؤه عليك، فقال لي: أيُّهما أخَفُّ عندك عليّ: قراءتي عليك أو قراءتُك عليّ؟ قلتُ: قراءتي عليك، قال: لا بل قراءتي أخفُّ، لأني إنما أستعمِلُ فيها بَصَرِي ولساني، وقراءتُك أستعمل فيها بَصَري وذهني وسمعي.

سليمان بن شعيب الكيساني، ثنا أبي، سمعتُ محمدَ بن الحسن قال:

إذا اختُلِفَ في مسألةٍ، فحرَّم فقيه وأحلَّ آخَرُ، وكلاهما يَسعُه أن يَجتهد، فالصوابُ عند الله واحدٌ: حلال أو حرام، ولا يكون عنده حلالٌ وحرامٌ وهو شيءٌ واحد، فأما أن يقول قائل: قد أَحلَّ فقيه، وحرَّمَ فقيه في فرجٍ واحد، وكلاهما صوابٌ عندَ الله، فهذا ما لا ينبغي أن يُتكلَّمَ به، ولكنَّ الصوابَ عند الله واحد، وقد أدَّى القومُ ما كُلِّفُوا به حين اجتهدوا، ووَسِعَهم ما فعلوا. وهذا قولُ أبي حنيفة وأبي يوسف وقولُنا.

أحمد بن أبي عمران، سمعت محمد بن شجاع يقول على انحرافه عن محمد بن الحسن: ما وُضِعَ في الإسلام كتابٌ في الفقه مثلُ «جامع» محمد بن الحسن الكبير.

محمد بن عبدالله بن عبدالحَكَم وغيرُهُ، ثنا الشافعي، قال قال محمدُ بن الحسن: أقمتُ على [باب] مالكٍ ثلاثَ سنين، وسمعتُ منه

لفظاً سبع مئة حديثٍ ونَيِّفاً[١].

ثم قال الشافعيُّ: كان محمدُ بن الحسن إذا حدَّثهم عن مالك امتلأ منزلُه وكثروا حتى يَضِيق بهم الموضع، وإذا حدَّث عن غير مالك لم يأتِهِ إلا اليسير، فكان يقول: ما أعلمُ أحداً أسوأَ ثَناءً على أصحابه منكم، إذا حدَّثتُكم عن [مالك ملأتم عليَّ الموضع، وإذا حدَّثتُكم عن][٢] أصحابكم إنما تأتون مُتكارِهين[٣].

٥٤ الطحاوي / سمعت أحمد بن أبـي عمران يقول: قال محمد بن سَمَاعة: سمعت محمد بن الحسن يقول: هذا الكتابُ ـ يعني كتابَ الحِيَل ـ ليس من كتبنا، إنما أُلقِيَ فيها.

قـال ابنُ أبـي عمران: إنمـا وَضَعَه إسمـاعيـلُ بن حمـاد بن أبـي حنيفة[٤].

الطحاوي، نا يونس بن عبدالأعلى، قال: قال الشافعي: كان

---

(١) لفظ الخطيب «أكثَرَ من سبع مئة حديث». وليس فيـه لفظُ «نيف»، ولفظُ ابن أبـي العوام «سمعت منه سبع مئة حديث ونيفاً لفظاً». وكـذلك هـو في «الجواهر المُضِيَّة» للقرشي (أبو الوفاء).

(٢) زيادة من كتاب ابن أبـي العوام (أبو الوفاء).

(٣) وعُذرُهم أنَّ رواة أحاديث العراق من الكثرة بحيث لا يُخاف على ضياع شيء منها، بخلاف حديثِ مالك بالعراق بعدَ موته، فإنَّ روايته انحصرَتْ هناك في مثلِ الإمام محمد بن الحسن، فالحرصُ على حديثه والحالةُ هذه ليس بموضعٍ للمُؤاخذة (ز).

(٤) ربما يكون لإسماعيل كتابٌ في المخارج والحِيَل فيما لم نطلع عليه، لكنَّ الكتاب الذي يَحوِي كل زيغ في الحيل، إنما هو روايةُ الكذَّابِ ابنِ الكذّاب ابنِ الكذَّاب محمد بن الحسين بن حميد، عن محمد بن بِشْر الرَّقي، عن خَلَف بن بَيَان، روايةَ مجهولٍ عن مجهول! نسأل الله السلامة (ز).

محمد بن الحسن إذا قَعَد للمناظرة للفقه أقعَدَ معه رجلاً حَكَماً بينه وبين من يُناظِرُه، فيقولُ لهذا: زِدتَّ، ولهذا: نَقَصتَ. فقيل: كان ذلك الرجلُ عيسى بنَ مروان.

موسى بن نُصَير، عن هشام بن عُبَيدالله الرازي، قال: خرجنا مع محمد بن الحسن من المدينة، فلما أتى ذا الحُلَيْفَة نزلنا معه، وذلك قُبَيلَ الظهر، فتنحَّى عنا أظنُّه لوضوئِهِ وغُسله، ثم لَبِسَ إزاراً ورداءً، وحَضَرَتْ الظهرُ فمَشَى ومشينا معه، حتى أتى مسجدَها، فصلَّى بنا الظهرَ ركعتين، ولبَّـى ولبَّينا معه، وقَرَن بين الحج والعُمرة.

ثم مَضَى إلى رحله وهو يُلبِّـي وكان قد ساق هَدْيَهُ من المدينة، فلما أَحرَم ولبَّـى أمَرَ الجمَّال فأشعَرَ هَدْيَهُ، وهي بَدَنةٌ، بسِكِّين، ومحمدٌ قائمٌ يَنظُرُ إليه، حتى أشعَرَها من الجانب الأيسر، فوقَ الكتف، في أصلِ مُقدَّم السَّنَام أسفلَ السَّنَام، حتى أظهَرَ الدمَ وجَلَّلها.

إبراهيم الحربـي، سألتُ أحمد بن حنبل وقلتُ: هذه المسائلُ الدقيقة من أين لك؟ قال: من كُتُبِ محمد بن الحسن.

أبو عَرُوبة، حدَّثني عَمْرُو بن أبـي عمرو، قال محمدُ بن الحسن: خَلَّف أبـي ثلاثين ألفَ درهم فأنفقتُ خمسةَ عَشَر ألفـاً على النحوِ والشعر، وخمسةَ عَشَرَ ألفاً على الحديث والفقه.

ابنُ سماعة، قال محمدُ بن الحسن لأهله: لا تسألوني حاجةً من حوائج الدنيا، فَتَشْغَلُوا قلبـي، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلي، فإنه ٥٥ أفرَغُ / لقلبـي وأقلُّ لهمي[١].

---

(١) ومن الحكايات الطريفة في هذا الباب ما ذكره الخطابـي في «العُزْلة» وإن لم يَصِحَّ سنداً، قال: «حدثني الحسين بن إسماعيل الفقيه، قال بلغني أن محمد بن الحسن رحمةُ الله عليه، لما أَخَذَ في تصنيف «الجامع الكبير»، خلا=

ابن كأس النخعي، ثنا أحمد بن حماد بن سفيان، ثنا الربيع بن سليمان، سمعتُ الشافعي يقول: ما رأيتُ أعقلَ ولا أفقهَ ولا أزهَدَ ولا أورَعَ ولا أحسَنَ نطقاً وإيراداً من محمد بن الحسن.

قلتُ: لم يروِ هذا عن الربيع إلا أحمدُ بن حَمَّاد، وهو قولٌ منكَر[١].

ذِكرُ توليتِهِ قضاءَ الرَّقَّة[٢]

أبو خَازِم القاضي، عن بكر بن محمد العَمِّي، عن محمد بن سَماعة، قال: كان سبَبُ مخالطة محمد بن الحسن السلطانَ أنَّ أبا يوسف

= في سِرداب، وأمَرَ أهلَه أن يراعوا وقتَ غِذائِه ووضوئِه، فيُقدِّمُوا إليه حاجتَه منهما، وأن يُـؤخَذَ من شَعْرِه إذا طال، وأن يُنظَّفَ ثوبُه إذا اتَّسَخ، وأن لا يُورِدُوا عليه شيئاً يَشتغلُ به خاطرُه، وأقام في مالِهِ وكيلاً، وفوَّض إليه أمرَه، ثم أقبَلَ على تصنيف الكتابَ، ولم يَشعُر إلا برجل يَنزلُ إليه حتى وقف بين يديه، فأنكره، فقال: من أنت؟ قال: أنا صاحبُ الدار. قال وكيف ذاك؟ قال: لأني قد ابتَعتُ هذه الدار من فلان، يعني وكيلَه، وكان وكيلَهُ عن تفويض، فاحتَاجَ إلى الانتقال» (ز).

(١) لا وجه لقول الذهبي هذا، لأن ابن كأس ثقةٌ، وأحمد بن حماد بن سفيان وثَّقه الخطيب ٤: ١٢٤ على تعنته، وقال الدارقطني: لا بأس به. ولم يُنقَل فيه جرح. وللخبر شواهد عديدة، فلا يكون كلام الذهبي متمشياً مع قواعد النقد. نسأل الله الصون (ز).

(٢) بفتح الراء والقاف المشددة مدينة مشهورة على الفُرَات، بينها وبين حَرَّان ثلاثةُ أيام، معدودة في بلاد الجزيرة، لأنها من جانب الفُرات الشرقي. طولُ الرقة أربعٌ وستون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة في الإقليم الرابع، ويقال لها: الرَّقَّةُ البيضاء. وأصلُ الرقة في اللغة كل أرض إلى جنب واد ينبسِطُ عليها الماءُ. معجم البلدان (أبو الوفاء).

القاضي شُووِرَ في رجلٍ يُولَّى قضاءَ الرقة، فقال لهم: ما أعرفُ لكم رجلاً يَصلُح غيرَ محمد بن الحسن، فإن شئتم فاطلبـوه من الكوفـة، قال فأَشخَصُوه.

فلما قدِمَ جاء إلى أبـي يوسف فقال: لماذا أُشْخِصتُ؟ قـال: شاوروني في قاضٍ للرقة، فأَشَرتُ بك، وأردت بذلك معنى أن الله قد بَثَّ عِلْمَنا هذا بالكوفة والبصرة وجميعِ المشرق، فأحبَبتُ أن تكون بهذه الناحية، ليَبُثَّ اللَّـهُ عِلمَنا بك بها وبما بعدها من الشامات.

فقال: سبحان الله! أمَا كان لي في نفسي من المنزلة ما أُخْبَرُ بالمعنى الذي من أجلِهِ أُشْخَصُ! فقـال: هم أشخصوك. ثم أمـرَهُ ٥٦ بالركوب، فرَكِبَا ودخلا على يحيـى بن / خالد بن بَرْمَك، فقال ليحيـى: هذا محمد فشأنكم به، فلم يزل يُخوِّفُ محمداً حتى وَلِيَ قضاء الرقة، وكان ذلك سَبَبَ فسادِ الحالِ بين أبـي يوسف ومحمد بن الحسن[1].

---

(١) هذا هو سبب الجفوة الحادثة بينهما، وليس في ذلك شيء يلام عليه أحدهما، وأما ما ذكره السرخسي في أول «شرح السِّيَر الكبير» فأسطورةٌ علقت بذهنه في الصغر من أحد كُتُبِ السَّمَر، وأملاها في الجب على تلاميذه وهو بعيد عن كتبه.

وفي الأسطورة نفسِها ما يَنقُضُها من نواح، لأنَّ محمد بن الحسن لم يكن ببغداد إلى هذا الإشخاص، فلا يمكن أن يغار على كثرة جماعة محمد في العاصمة، ولا سيما أن الأستاذ لا يغار على نجاح تلميذه بل يفخر به، وكان تعيينُه لقضاء الرقة وهي العاصمةُ الصيفية للخلفاء، وفي ذلك غايةُ التقريب منهم، لا لقضاء مصر، كما في الأسطورة! حتى يُتصوَّرَ قصدُ إقصائِهِ من مجالس الخلفاء إلى غير ذلك من وجوه تدل على بطلان الأسطورة، كما ذكرتُ ذلك في «بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني» (ز).

قال الطحاوي: سمعتُ أحمد بن أبي عمران يقول: سمعتُ الطبري(١) يقول: قال لي حُمَيد أبو العباس ـ وكان من كبار أصحاب محمد بن الحسن ـ: كانت الحَلْقَةُ في المسجد يوم الجمعة ببغداد لبِشْر بن الوليد، فلم يزل كذلك ونحن نجالِسُهُ [فيها]، حتى قَدِمَ محمدَ بن الحسن [علينا]، فأتيناه فكنا نتعلم منه مسائلَه هذه، ثم نأتي بشرَ بن الوليد فنسأله عنها، فنُؤذِيه بذلك. فلما كثر ذلك عليه ترك لنا الحلقة.

قال ابنُ أبي عمران: فسمعتُ محمد بن الحسن بن أبي مالك يقول: رأيتُ بِشرَ بن الوليد عند أبي، فنال من محمد بن الحسن، فقال له أبي: لا تفعل يا أبا الوليد! ثم قال له: هذا محمد قد صار له في يد الناس ما صار من هذه الكتب، فنرضَى منك أن تتولّى لنا وَضْعَ سؤالِ مسألةٍ وقد أعفاك الله من جوابها.

وعن الحسن بن أبي مالك وذَكَرَ مسائلَ محمد بن الحسن، فقال: لم يكن أبو يوسف يُدقِّقُ هذا التدقيقَ الشديد.

الطحاوي، نا محمد بن الحسن بن مِرْداس، سمعت محمد بن

---

(١) هو محمد بن عبدالرحمن بن بكر الطبري، كما في كتاب ابن أبي العوام في خبرٍ آخر، حيث قال: حدثني أحمد بن محمد بن سلامة، قال: حدثني أحمد بن أبي عمران، قال: حدثني محمد بن عبدالرحمن بن بكر الطبري، قال: سمعت مُعَلَّى بنَ منصور يقول: لَقِيَني أبو يوسف بهيئة القضاء، فقال لي: يا مُعَلَّى من تلزمُ اليوم؟ قلت: محمدَ بن الحسن. قال: الزَمْهُ فإنه أعلَمُ الناس. قال: ثم لقيني بعد ذلك فقال لي: يا مُعَلَّى من تلزمُ اليوم؟ قلت: محمد بن الحسن. قال: الزَمْه فإنه من أعلمِ الناسِ. فحَطَّهُ من المرتبةِ الأولى إلى الثانية (أبو الوفاء).

شُجَاع يقول: مَثَلُ محمد بن الحسن في «الجامع الكبير»، كرجلٍ بَنَى
٥٧ داراً، فكان كلَّما علَّى بَنَى مِرْقاةً يَرقَى منها إلى ما علَّاه / من الدار، حتى استتمَّ بناءَها كذلك، ثم نَزَل عنها وهَدَم مراقِيَها، ثم قال للناس: شأنَكُم فاصْعَدُوا.

الطحاوي، نا أبـي محمدُ بن سلامة، سمعتُ محمد بن علي بن مَعْبَد بن شَدَّاد، سمعت أبـي، قَدِمتُ الرقَّةَ ومحمدُ بن الحسن قاضٍ عليها، فأتيتُ بابه، فاستأذنتُ عليه، فحُجِبْتُ عنه، فانصرفتُ وأقمتُ بالرقة مدةً لا آتيه.

فبينا أنا في يوم في الطريق إذا به على دابته بهيئةِ القضاء[١]. فلما رآني أقبَلَ عليَّ واستبطأني، ووكَّلَ بـي من يُصيِّرُني إلى الدار، فلما جَلَس أُدخِلتُ عليه[٢]، فقال لي: ما الذي خلَّفَك عني[٣]؟ فقد بلغني أنك ها هنا، قلتُ: أتيتُك فحُجِبتُ[٤]، فَساءَهُ ذلك[٥]، وقال: من حَجَبَك[٦]؟! فظننتُ أنه يُريد عقوبةَ الحاجب فلم أخبره به. فقال لي: فإذا لم تفعل أُنحيهم كلَّهم[٧]، ودعاهم وقال: لا يَدَ لكم على أبـي محمد في حجبه

---

(١) وفي كتاب ابن أبـي العوام «في بعض طرقاتها إذْ أقبَلَ محمد بن الحسن على دابته» (أبو الوفاء).

(٢) وفي كتاب ابن أبـي العوام «إلى منزله فلما جلس في منزله» (أبو الوفاء).

(٣) وفيه زيادة «منذ قَدِمْتَ» (أبو الوفاء).

(٤) وفيه «فقلت له: أتيتُ منزلك فحُجِبتُ عنك، وإنما أتيتُك كما كنتُ آتيك وأنت غيرُ قاض» (أبو الوفاء).

(٥) وفيه زيادة «وغَمَّه» (أبو الوفاء).

(٦) وفيه «فقال لي: أي حُجَّابـي حَجَبَك؟! فظننت أنه يريد عُقوبتَه» (أبو الوفاء).

(٧) وفيه زيادة: «فقلتُ له: إذن تَظلمُ من لم يَحجبني! فدعاهم جميعاً وقال لهم». (أبو الوفاء).

عني. ثم كنت آتيه حتى أصل إلى الستر فأتنحنح وأسلم[١]، فيقول: ادْخُل[٢].

أنبأني المسلم بن محمد القيسي وغيرُه، أن أبا اليُمن الكِنْـدِيَّ أخبرهم، أنا عبدالرحمن بن محمد، أنا أحمد بن علي الحافظ، أنا ابنِ رِزْقُوْيَه، أنا ابنُ السَّمَّاك، ثنا محمد بن إسماعيل / التمار، حدثني أحمد بن خالد، سمعتُ المُقدَّميَّ بالبصرة، قـال الشافعي: لم يَـزَل محمدُ بن الحسن عندي عظيماً، أنفقتُ على كتبه ستين ديناراً، حتى جَمَعني وإياه مجلسُ هارون، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ أهل المدينة خالفوا كتابَ الله وأحكامَ رسـول الله صلى الله عليه وسلم وإجمـاعَ المسلمين. فأخَذَني ما قَدُمَ وما حَدُثَ! فقلتُ: أراك قد قَصدتَ أهلَ بيتِ النبوة، وقبرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهـرهم، عَمَدتَ تَهجُوهم[٣].

٥٨

---

(١) وفيه زيادة «ثم التفتَ إليَّ فقال: إذا جئتَ إلينا فلا يكون بيني وبينك إلا السِّتر الذي يستر الناس عني، فتَنَحْنَحْ حينئذ أو سَلِّم، فإن كنتُ على حال يتهيأ لك الدخولُ فيها أذنتُ لك بنفسي، وإن كنت على غير ذلك أمسكتُ، فتنصرف. فكنتُ آتيه بعدَ ذلك والناسُ على بابه، فأتخطاهم وأتخطَّى حُجَّابه حتى أصِلَ إلى سِتره» (أبو الوفاء).

(٢) وفيه زيادة «يا أبا محمد، أو يُمسِك فأنصرِفُ» (أبو الوفاء).

(٣) أحمد بن علي هو الخطيب البغدادي: تناوُلُه المسكر في «معجم الأدباء» لياقوت من رواية الحافظ عبدالعزيز النخشي، وافتتانُهُ بالولدان وتغزُّلُه فيهم وأهواؤه القاصمةُ لظهره، الكاشفةُ لستره في عدة كتب لابن الجوزيِّ ولسبطه، وفي «السهم المصيب» للملِك المعظَّم عيسى الأيوبـي وغيرِها. وقد حاسبناه على افتراءاته على الإمـام الأعظم فقيـهِ الملة أبـي حنيفة النعمـان في «تأنيب =

حنبل بن إسحاق، سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: كان أبو يوسفُ

= الخطيب»، وعلى نهشه لأعراض أبـي يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهما؛ بأدلةٍ ظاهرة. تراه يُكثِرُ من الرواية عن ابن رِزْقُويه بالرِّزَم والزَّكَائِب بعدَ أن عَمِيَ وهَرِمَ. ولا يفعلُ مثلَ ذلك إلا من هانت عليه مخادعة المسلمين.

وأبو عمرو بنُ السماك عثمانُ بن أحمدَ الدقاق فـي السند: راويَةُ الفضائح بأسانيد مظلمةٍ حتى عند الذهبـي.

والتمار مجهولُ الصفة غيرُ موثق وإن تُرجِمَ له في تاريخ الخطيب.

وأحمد بن خالد الكِرْماني مجهول.

والحكايةُ مكذوبة على الشافعي. وهو على قوة حِجاجه ليس ممن يلجأ إلى تقويل من يَرُدُّ عليه ما لم يقله.

ومن الغريب أنهم يروون مرةً أن محمد بن الحسن كان يُفضِّلُ مالكاً على أبـي حنيفة في العلم، وأخرى يزعمون أن محمداً كان يقول عن مالك إنه ما كان يَحِلُّ له أن يفتي، ويستاؤون من رده على مالك بأدلة ناهضة في كتاب «الحجة على أهل المدينة»، فيحاولون أن يجعلوه يَرُدُّ بذلك على أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويذكرون قبرَ النبـي عليه الصلاة والسلام، ودارَ الوحي تقطيعاً للردِّ على من غَلِطَ من فقهاء المدينة.

وما دَخْلُ أهلِ البيت ودارِ الوحي والقبرِ المعطّر في باب الرد على مالك وبعض شيوخه؟ فلا يكون الجواب عن ردود محمد بن الحسن هكذا بل بقرع الحجة بالحجة.

وقد أساء إلى الشافعي من اختلق هذه الحكاية. وقد صَحَّ بطرقٍ تفقُّهُ الشافعيِّ على محمد، وحَمْلُهُ عنه حِمْلَ بختي من العلم، وليست هذه المهاترة شأنَ التلميذ مع أستاذه، بل شأن من يُبيحُ الغلبة بأي طريق كانت، وحاشا الشافعيَّ من مثل ذلك، على أنَّ رد الشافعي على مالك المدوَّن في الأم أقسى بكثير من رَدِّ محمد بن الحسن على مالك في الحجة. والله سبحانه يتولى هدانا (ز).

مُنصِفاً في الحديث، فأما أبو حنيفة ومحمدُ بن الحسن فكانا مخالِفَيْنِ للأثر[1].

وقال الدارقطني: لا يَستحقُّ محمدُ عندي التركَ[2]. وقال / النسائي: حديثُهُ ضعيف.

٥٩

وأما الشافعي رحمه الله فاحتَجَّ بمحمد بن الحسن في الحديث. أخبرنا علي بن أحمد الحافظ وغيرُه، قالوا: أنا الحسين بن أبي بكر الحنبلي، ح. وأنا أحمد بن عبدالمنعم القزويني، أنا محمد بن سعيد

---

(١) شُروطُ قبول الأخبار مما يَختلِفُ في نظر المجتهدين، فما يَقبَلُ هذا قد يَرُدُّ ذاك، لعدم استكماله لشروط قبول الخبر عنده، وما من إمام إلا وعنده أشياءُ من هذا القبيل، فلا يكون هذا من الجرح المؤثر في شيء (ز).

(٢) والدارقطني على طول لسانه في أبي حنيفة وأصحابه بما يجاوز الحدَّ جداً، تحتَ تأثير خلافِهِ لهم في مسائل اعتقادية خطرة، خلا خلافَهُ لهم في الفروع: يقول في «غرائب مالك» عند الكلام في رواية الرفع عند الركوع: «حدَّث به عشرون نفراً من الثقات الحفاظ، منهم محمدُ بن الحسن الشيباني، ويحيى بنُ سعيد القطان، وعبدُالله بن المبارك، وعبدُالرحمن بن مهدي، وابنُ وهب، وغيرُهم.

هكذا تَرى الدراقطنيَّ يذكُرُ محمدَ بن الحسن في مقدمة هؤلاء الحفاظ الثقات، وهذا شهادةٌ منه بأنه حافظ ثقة، فيكون أعمَى بين عُور من يقول فيمن يُفضِّلُ محمداً في الحفظ في نظره: إنه أعوَرُ بين عُميان.

وقد وثَّقه أيضاً ابنُ المديني كما في «تعجيل المنفعة» لابن حجر وغيرِه. وقال الذهبي في الميزان: «كان محمد بن الحسن من بُحُور العلم والفقه، قوياً في مالك». فإذا كان قوياً فيمن سَمِعَ منه عَرْضاً، فكيف لا يكون قوياً في شيخِهِ الذي أفنى عمرَه في تمحيص علومِه ورواياته. والله أعلم. وله الحمدُ في الآخرة والأولى (ز).

الصوفي، أنا طاهر بن محمد المقدسي، أنا مكي بن منصور، أنا أحمد بن الحسن القاضي، ثنا محمد بن يعقوب، أنا الربيع بن سليمان، أنا محمد بن إدريس الشافعي، أنا محمد بن الحسن، أنا قيس بن الربيع عن أبان بن تَغْلِب، عن الحسن بن ميمون، عن عبدالله بن عبدالله مَوْلَى بني هاشم، عن أبي الجَنُوب الْأَسَدي، قال قال علي رضي الله عنه: من كان له ذَمَّتُنا فدَمُه كدمنا، ودِيَتُه كديتنا.

ويُحكَى عن محمد بن الحسن ذكاءٌ مُفْرِط، وعقلٌ تام، وسُؤدَدٌ، وكثرةُ تلاوة.

قال الطحاوي: سمعتُ أحمد بن أبي عمران يحكي عن بعض أصحاب محمد بن الحسن، أنَّ محمداً كان حِزْبُه في كل يوم وليلة ثُلُثَ القرآن.

قال أبوخَازِم القاضي: سمعتُ بكراً العَمِّيَّ يقول: إنما أَخَذ ابنُ سماعة وعيسى بن أبان: الصلاةَ من محمد بن الحسن.

يونس بن عبدالأعلى، ثنا علي بن مَعْبَد، حدثني الرجلُ الرازي الذي مات محمدُ بن الحسن في بيته، قال: حَضرتُ محمداً وهو يموتُ فبكى، فقلت له: أتبكي مع العلم؟ فقال لي: أرأيتَ إن أوقفني الله تعالى فقال: ما أقدَمَك الريَّ الجهادُ في سبيلي أم ابتغاءُ مرضاتي؟ ماذا أقول؟ ثم مات رحمه الله.

قال أبوخازِم عبدُالحميد القاضي: لما دَفَنَ الرشيدُ محمدَ بنَ الحسن والكسائيَّ ــ يعني بالري ــ أنشأ يقول:

أَسِفتُ على قاضِي القُضاةِ محمدٍ ... فـأَذرَيتُ دَمْعِي والفُـؤادُ عَمِيـدُ
وأقلَقَنِي مـوتُ الكِسـائيِّ بعـدَهُ ... وكادَتْ بـيَ الأرضُ الفَضَاءُ تَمِيدُ
/ هُمَا عالِمَـانا أَوْدَيَـا فتُخُرِّمَـا ... فمـا لهما في العـالَمِين نَـدِيـدُ ٦٠

وقال السِّيْرَافِيُّ: هذه الأبياتُ ليحيـى اليزيديّ. وأوَّلُها:

تَصَـرَّمَتْ الـدُّنيـا فليس خُلودُ ... وما قد تَـرى من بَهْجةٍ ستَبِيـدُ
لكل امرىءٍ كأسٌ من الموتِ مُتْرَعٌ ... ومـا إِنْ لنـا إلا عليـه وُرُودُ
ألم تَرَ شَيْباً شامِلاً يُنـذِرُ البِلَى ... وأنَّ الشبـابَ الغَضَّ ليس يَعُودُ
سيأتيك ما أفنَى القرونَ التي خَلَتْ ... فكُنْ مُسْتَعِـداً فـالفَنـاءُ عَتِيـدُ

والحمدُ لله أولاً وآخِراً

* * *

فهرس مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني